

الانواع الادبية والبلاغة

بقلم عدنان بن ذويل

الادب تعبير بواسطة مفردات اللغة ، واساليب القول ، في حدود نوع ادبي معين عن مكونات النفس الانسانية ، وتجربة الانسان ازاء العالم والمجتمع ، ينقلها الاديب الى الجمهور طاقات من الفن ، والجمال ، والتثقيف (١) ..

الادب تعبير ، اي افصاح فني ، من حيث ان التعبير الادبي متميز عن مجرد الافصاح بالتلق ، او اللغة ..

والن صناعة الجمال ، والادب صناعة الجمال الادبي ، يسويها الادب من ابداعه ، ومن تجربته ، وبفعل الوجهة عنده ، لبسط مكونات نفسه ، او نقل افكاره ..

ادوات الجمال الادبي ، التي تكون ملك يدي الاديب في صنع له ، هي مفردات اللغة ، واساليب القول ، وايضا الانواع الادبية .. بعالمها معالجة في موضوع من موضوعات الحياة والمجتمع ، في حدود نوع ادبي معين ، يثقف بها جمهوره ، ويتمتع ويرفه عنه ..

ان الانواع الادبية اشكال للبناء الادبي تتجلى من نفس تجربة الاديب ، وانفعاله بموضوعة ، وليتية حاجة مجتمعة وجمهوره ، الى التعبير الادبي الفني والجميل ..

ذلك ان النوع الادبي في الشكل الفني البني الذي يتخلده التعبير المدروس ، هو حصيللة حاجة الاديب الى اصال افكاره ومشاعره الى الجمهور ، وحاجة المجتمع نفسه الى التعبير الادبي ، والفني الجميل ..

المسرحية تمثل على خشبة المسرح ، وتكون شعرا ، او نثرا ، او مزيجا منهما ، والرواية ، والقصة المطولة ، والقصة القصيرة تقرأ في الكتب ، او ايضا في المنتديات ، والتقصيدة الشعرية تشند انشادا ، او تنقلها الصحف والمجلات الى القارئ ، والمقالة تليبي حاجة التثقيف الاجتماعي الادبي ، وتستهلكها اليوم الصحافة الادبية في النقد الادبي ..

كيف ندرس هذه الانواع الادبية الشعرية ، والنثرية ، المختلفة ، دراسة بلاغية ؟ ، والى اي مدى يمكن البلاغة دراسة الانواع الادبية ؟!

يخيل للدارس المتفحص للوهلة الاولى ، وايضا لممارس النقد الادبي ، ان لا دخل للبلاغة في دراسة الانواع الادبية .. ان مجال البلاغة تبين الاساليب الادبية ، والجمال الادبي فيها ، والانواع الادبية اشكال بناء فني ادبي ..

ولذلك يبدو للوهلة الاولى ان تكريس النقد الادبي

اليوم ، وتجنيد لدراسة الانواع الادبية هو الصواب الذي يمكن ان يعطي ثمرة ، من حيث ان النقد الادبي ، وعلى الخصوص في عملة الحديث ، ومفاهيمه المستجدة تنسقط القول في الادب ، والاديب ، والتجربة الادبية ، والجمهور ، والدوق ، والاولى ان يأخذ على عاتقه بحث الانواع الادبية ، سواء المتوارثة ، كالتقصيدة ، او القصص ، او المستحدثة كالمرححة ، والمقالة ، وغيرها ..

في مقابل ذلك .. يذهب نفر من البلاغيين ودارسي البلاغة ، مثل الأستاذ احمد الشائب (٢) ، وتلاميذه في الجامعة المصرية والازهرية ، الى ان دراسة الانواع الادبية هي عمل بلاغي صميمي ، من حيث ان البلاغة في نظرهم يجب ان تقسم الى قسمين : القسم الاول : الاسلوب ، ويبحث فيه قضايا النظم الادبي ، والقسم الثاني : الانواع الادبية ، ويبحث فيه فنون الاشكال الادبية المختلفة في التعبير الادبي ، كالتقصيدة ، والمقالة ، والرواية ، والقصة ، والمرححة ، والمقالة ، وغيرها ..

والنقاش مستمر حقا في مشروعية دراسة الانواع الادبية ، واحقيتها ، اهي للنقد الادبي ، ام البلاغة ، للناقد ، ام للبلاغي دارس الاسلوب ، والمناهج في ذلك (٣) .. انها ، في نظرنا ، لاثنتين معا ، بمعنى ان لا تقصر على واحد منهما ، النقد الادبي وحده ، او البلاغة وحدها ، وانما يتساند الظرفان ، ويتساهدان لجلالة حقيقة هذه الاشكال من بناء التعبير الادبي ، والفن الذي في تسويتهما ، والجمال الذي لها ، او الجمال الذي يكسبه التعبير الادبي منها وغير ذلك ..

ان دراسة الاسلوب دراسة تركيبية ، تحليلية ، بدوا من التحليل الادبي ، جعل البلاغي اليوم ، ينظر الى الانواع الادبية ، نظرة جدية متأنية .. لانه وجد نفسه امام حياة جديدة ادبية ، وبلاغية ، ولغوية ايضا ، لا بد من التوفر لها ادبيا ، وبلاغيا ، ولغويا ..

وستظل الدراسة البلاغية سندا لدراسة الانواع الادبية ، ولن يقوى النقد الادبي على التفرد بدراسة هذه الانواع وحده ، وستظل للدراسة البلاغية قيمتها ، من حيث انها دراسة الجمال الادبي الذي للاساليب المختلفة التي للتعبير الادبي في هذه الانواع ، ولندال بمثابة ادبية ، شعرية ، ونثرية على ذلك ..

لناخذ مسرحية « العباسة » لعبدان مردم بك ، و « العباسة أخت الرشيد » لعزير اباطة :

ان عمل الدراسة البلاغية ازاء هذين الاثرين الشعريين المسرحيين الحديثين (٤) ، ليس التاريخ لهاتين المسرحيتين ، او اظهار ظروف تأليفهما .. وليس ايضا بسط موضوعاتهما ، او وصف بنائهما الشعري ، او شرح ابداع شخصوسهما الابطال منهم ، او الشخصوس اثاثوية .. وليس ايضا مناقشتهما في افكارهما ، او تقدمهما في

مجموعهما ، وغير لك مما هو موضوع الدراسة الأدبية ،
والنقدية ..

أن معلما ، بالآخرى هو تبين الصنعة الكتابية الأدبية
فيهما ، وتبين أسرار الصياغة الشعرية فيهما .. كيف
تتأخر المتأخرون في هذه المسرحية أو تلك ؟ .. ما هي
أنواع الخطاب الأدبي المسرحي فيهما ؟ .. ما هي مفردات
الحديث ، والقول في ذلك ؟ .. وما هي التركيب ، والصور
البائية ؟ .. من أين جزالة الأسلوب ، أو حرارته ؟ ..
من أين الحركة في الأداء الأدبي ، من أين الروح فيه ؟ ..
لماذا الهم النفسي في هذا المشهد ، ولماذا العرض التصويري
في ذلك المشهد ؟ .. وهلم جبرا ..

كل هذه الزوايا الواسعة ، والحنايا الدقيقة من
الدراسة الشاملة لهذين الاثرين الشعريين المسرحيين ،
شعرهما ، أسلوبهما ، أفكارهما ، عبارتهما .. هي
موضوع الدراسة البلاغية ، والتي عادة لا تطولها يد النقد
الأدبي ، والدراسة الأدبية ، أن لم تنبه باستمرار إلى ما
ظلنا نكرسه من ضرورة تكامل البلاغة ، والنقد الأدبي ،
ومساندة بعضهما لبعض ..

أن يراد التنسيق ، والملاءمة للموضوع ، وسلامة
التعبير ، وحيوية التركيب ، ورشاقة الاخيلة ، وقوة
الصياغة ، وجمال السبك .. كل ذلك على البلاغي دارس
الأسلوب توضيحه في أصوله ، وتطبيقه ، أن نقاسم
الناقد والدارس الأدبي عن ذلك ، وبالتأمل ، البلاغة اليوم
تنقسم ذلك في دراسة الأسلوب ، وصور البيان ..
أنها اليوم تخدم الأنواع الأدبية من حيث أنها توضح
في دراسة الأسلوب ، ما هي خطة التعبير الأدبي ، وكيف
خطط الأديب لأدائه الأدبي ، ثم كيف نسق الأفكار ،
والعرض ، في أي من أنواع الشعر والنثر التي يصطنعها .
الأسلوب أثقل ، ليس النوع الأدبي في تصميمه ، أو
بنائه ، وإقسامه .. ولكنه السمة الشخصية التي طبع بها
الأديب مسرحيته ، وتميزت بها هذه المسرحية عن المسرحية
الأخرى ..

أن سمة « العباة » لعبدان مردم بك ، بالفعل ،
هي هذه الحدة الذكية ، الحدة النفسية في التركيز
المعجب في السرد ، أو في التحليل لإبداع الأبطال
والشخص الهامة في المسرحية ، وهي ترجع عنده إلى
الحرس الفني الأدبي على وحدة المعامل المسرحي في
المسرحية ، والذي يلتزم في كافة مسرحياته الشعرية .
والقاري الدارس لهذا المسرحيات ، ومنها
« العباة » ، عندما يتصفحها ، ويسير في مشاهدتها
يشعر أنه أمام مسرح أصولي قوي ، بديع ، وأصيل ، من
نوع المسرح الكلاسي الفرنسي ، الذي لكورنيل ، وراسين ،
في إثارتهما وحدة العمل والموضوع ...
في حين سمة المسرحية الثانية ، « العباة أخت
الرشد » ، لمزج أباطة ، هو هذا الحشد ، لنقل القطاعي

للمواقف ، والأحداث ، مع التصوير الجانبي الرديف
للموضوع ، لجوانب اجتماعية تتعلق بالموضوع ، وتطوره .
هذا الحشد أثرت ألوان سرديّة وصفية منه عند
شكسبير ، ثم أحمد شوقي ، ويعتمده عزيز أباطة ، رغم
أنه يبطئ من الحركة التي للعمل المسرحي ، أو يقلل من
حدة التصوير لإبداع الأبطال في المسرحية ، بالخصوص
الأخرى حولها ..

أن التنسيق في العرض الشعري في المشاهد ، ثم
أسلوب الصياغة والتركيب في الحوار على المسرح ،
والحديث ، ثم العبارات الشعرية نفسها ، وما فيها من
صور بيان تخضع كلها ، في المسرحيتين لاعتبارات كل من
هذين الثقلين لتأليف المسرحي عند كل من الشعارين ..
وأبرز صورة لذلك ، التزام عبدان مردم بك استعمال
مجزوء البحور في شتى حواراته ، وحديثه المسرحي ،
وهو استعمال مطرد في مسرحياته كافة ، في حين تتنوع
الأوزان الشعرية والبحور في مسرح عزيز أباطة ، وهو
متنوع أيضا ..

نجد إلى جانب ذلك الجزالة في الصياغة الشعرية
عند عبدان مردم بك ، وهي تلائم تقري العمل المسرحي
الواحد ، والتحليل النفسي ، والخلق .. في حين نجد
السلاسة تطبع شعر عزيز أباطة في مسرحه ، وهي تلائم
السرد فيه والحشد التقاطعي ، للمواقف والأحداث والأوصاف
المختلفة ..

لنأخذ الآن عيّن آخرين من أدب الرواية الحديثة ،
هنا : رواية « الباس بين البدو » ، لعبد السلام العجيلي ،
ورواية « أصابنا التي تحرق » ، لسهيل إدريس (٥) .
الرواية الأولى ، موضوعها علاقة غرام جنسي بين
سياسي قديم وفاضل ، وبين مطلقة موسرة معذبة ،
تنتهي بنزوحها عن البلد إلى بلد آخر ، عندما تجد أن
عشيقها أخذ يهيم باحتها ..

والرواية الثانية رصد تقاضي نفسي واجتماعي
لكفاح صاحب مجلة ، وهو وطني مخلص ، ويعمل
مدرسا ، فيفسر دروسه للتربية الوطنية القومية ..
وفيها جانب كبير من خصوصيات حياة عائلته ، وترويهما

(١) - هذا التعريف للأدب لنا ، يسطاه في كتابنا الدراسة النفسية
والبلاغة ، قيد الطبع ، مع شرح موجز ..

(٢) - هذا التمثل تجده في كتاب « الأسلوب » لأحمد الشاذلي ، وترجع
الطبعة الأولى منه إلى عام ١٩٣٦ ، كما تجده في الإطروحات البلاغية
والنقدية التي يسوها ، وينشرها لتأليف الجامعيين والأدريين ...

(٣) - لفترة أعوام خلت ، كان الدكتور الشيخ صبيح الصالح يحاضر
في هذه الأنواع الأدبية ضمن محاضراته في البلاغة ، والأسلوب في
الجامعة السورية ، وأخذنا وقتها ذلك عليه ، فلم يرد ..

(٤) و (٥) - سبقت دراسة هذه الأثلة الأدبية دراسة تحليلية ونقدية
.. راجع أيضا « الأدب المسرحي في سورية » لعنان بن دريل ، دمشق
١٩٦٥ ، و « أدب القصة في سورية » لعنان بن دريل ، دمشق
١٩٦٦ .

ماذا تقول الريح من غصون ؟
ما ترصف الأفلال للميسون ؟
هل صور الليل سروق الشمس ؟
أو جمر الآن ومصاد الأمس ؟
لا شيء ، لا شيء فما الخلاص ؟
تفاهة ، سئمت ، لا مناص !
يدي على الزناد ، هذا حد
حكاية الماضي ، واصدء الأبد

علي شلق

يظل عيد السلام المجيلي ، رغم عنايته الفاتحة
بوصف أبطاله ، وتحليل نفسياتهم ، يخضع وصفه وتحليله
لسرده الذي يحتل عنده مكان الصدارة ، وهو سرد بالفعل
أخاذ وبارع ، في حين يتحزب سهيل أدريس للقطاع أسر
القطاع في قضية أبطاله ، ويصور النفوس منمنجة في
مواقف القضية ، وعلى الخصوص المواقف الاجتماعية ،
وليس الشخصية ، وكلا المؤلفين يقيس الحياة والمجتمع
والنفوس حوله ..

والنتيجة في الروائين ، أن السرد ظل مسيطرا
على العمل الروائي كله ، في «بأسمة بين الدموع» ، ويظل
المؤلف يدقنا عن الحل فيه والخاتمة إلى أوصاف
وتحليلات توضح أسبابهما ومسبباتهما .. في حين فسي
«أصابعنا التي تحترق» متعة المطالعة الأدبية ، والدراسة
الأدبية أيضا ، في فصول التعرف إلى أحداث حياة هذا
المناضل المثقف صاحب المحلة ، في عمله ، أو في بيته
.. ولذلك حرص المؤلف على الصدق في الوصف ، والدقة
في التحليل ، والبراعة في الشروح ، وتوفى إلى حد
كبير ...

كل ذلك أثر في تنسيق كل من الروائين ،
وعرضهما ، وسبكهما ، والصياغة فيهما .. عيد السلام
المجيلي راح يسرد ، ويصف ، ويحلل ، ويستخدم
أساليب الحوار ، والرسائل في جزالة تارة ، وسلاسة
تارة أخرى ، في حين سهيل أدريس لزم قضية بطله ،
وهوم معاملة وعمله ، وبيته ، وأكبر الظن أن تقسيم
الرواية عنده إلى قسمين ، يجري الأول منهما على لسان
البطل ، ويجري الثاني على لسان شريكه حياته ،
وعمله ، ولا تسهيل رصد المواقف المختلفة في قضية
هذا المناضل المثقف الوطني ...

وبذلك تميز الأسلوبان في الروائين بعضهما عن
بعض ، في السبك ، والعبارة ، والتركيب ، والمفردات ،
وظهر عليهما طابع شخصية مؤلفيهما في التأليف والكتابة ،
أسلوب «بأسمة بين الدموع» سلفي أن صغ التعبير ،
هو أسلوب الرواية السردية التحليلية ، جزل وسلس ،
وأسلوب «أصابعنا التي تحترق» حيائي منوع ، فيه
سلاسة وبراعة ..

أن مجال الدراسة البلاغية إذن متميز عن مجال
الدراسة الأدبية والتقديرية .. أنه يقوم على النصوص
الأدبية ، ولا قوام له بدونها البتة ، ويستهدف أظهار فنية
الأدب في هذه النصوص ، أي ما به الأدب أدب ، وأسرار
الجمال في الأسلوب ، في الفقرات ، في الجمل ، في
التركيب ، والألفاظ ، وهو بذلك كله أساسسي لا غنى
للتقد الأدبي نفسه عنه ..

وأما كيف نحصر الخصائص والصفات الأسلوبية
التي لنوع أدبي واحد ، أو لأسلوب أدبي واحد ، فسيكون
موضوع مقالتنا القادمة ، أن شاء الله ..

دمشق

عدنان بن ذريل

زوجته بنفوسها ...
عادة ، الرواية كنوع أدبي له أصوله في بنائه
واقسامه وفنيته ، تحوي ، أو تستيع استعمالات عدة
أساليب للكتابة ، مثل السرد المباشر ، والتحليل المباشر ،
أو الوصف أو البوح والحوار وهي تساعد على كشف
الأحداث .. أو أيضا الرسائل ، أو المقالات ، أو الحديث
النفسي ، وهي تساعد على تطوير العمل الأدبي ،
وغيرها ...

الروائين لا شك من الحياة وإلى الحياة ، من
المجتمع وإلى المجتمع ، ومن الروح ، واليها ، وهما أدب
طليعي ناضج يثق ، ويهدب ..

تصور «بأسمة بين الدموع» الفساد ، والمبازل ،
وتصور «أصابعنا التي تحترق» الكفاح عند مثقف وطني
.. وقد استهلك صاحب كل منهما بالفعل عدة أساليب
كنايية روائية ، منها على الخصوص المذكرات في «أصابعنا
التي تحترق» ، والرسائل في «بأسمة بين الدموع» ،
ثم الحديث النفسي والحوار ..

أبرز نقاط الاختلاف بين الروائين ، هو أن :
«بأسمة بين الدموع» ، تقوم على حدث سردي ، واضح ،
وكبير ، هو فشل علاقة بين موسرين فاشلين ، هو
بجمع حوله التحليلات والأوصاف المختلفة كافة ..

في حين أن «أصابعنا التي تحترق» تقوم على
وصف قطامي متسلسل لكفاح مثقف وطني من حملة
الأقلام ، وهوميه بقضايا معاشه في الأساس ، وكأفنة
السرد الجزئية فيها مواقف ، تؤكد صورة هذا المثقف
الوطني ...

ورغم أن المؤلفين يعينان بتصوير أبداع أبطالهما ،
ونفسياتهم ، إلا أن الاختلاف بينهما ظاهر ، خاصة في
الروائين ..

تشاؤم

بولس سلامة

وشيعت لمح الرؤى والإمانيات
وقد غيى الليل البهيم رجالي
وخلفته في حومة الخطب نائي
وكل حياتي صفحة من عدايا
فما تصدر الإنبال إلا دواميا
وسود لمعاتي صبغن الليالي
فهلأ عرفتم في الرزايا مكاني
وعين الذي يرئو إلى النار نائي
تعود الليالي الغائيات صواحي
فما زادت الأيام إلا شقائيا
وتفدحت فوق الوسادة غافيا
فما لمح الأحلام إلا أفاعيا
فإن همومي كالجبال وواسيا
دعوني لألامي ، دعوني لما بيما

على شرفة السبعين ودعت ماضي
فأمسيت أرجو الله لا عون غيره
وشق على أيوب أني شأوته
بسبعة أعوام تقضى عدايه
رماني زمانى بالتصال حديدة
سواي بجنح الليل يطوي همومه
يقولون صبرا ، قلت صبرا عليكمو
فما تستوي عين الحريق بناره
يقولون : هذا العام ولى وربما
فلقت : بلوت الحظ عشرين حجة
تساورني الأرزاء بقتان سامرا
كاني على حجر التماثيل راقدا
هنيئا لمن كانت بلاياه تنقضي
إلا أيتها النصاح بالله حسبكم

لمدت إلى حضن الطفولة حافيا
وألقي إلى عصف الرياح ردايا
نصائح تلال أو نياكر واديا
فهل على الوادي وظل المراعي
ومن حمل يستروح النبت ناعيا
وقد أطلع الزهر الحسان فواغيا
وتقطعت منها الورد كالدم قانيا
دعانا فليتنا التمسير الناديا
وطغنا بكتاف الرياض ثمانيا
لقد شقي الإنسان مذ بات واعيا
ففاشية الإلام غمت شبانيا
ولا رنحت أذني الطيور شواذيا
فأسعد مني الطير يرتاد حاسيا

خلقت ذكورا لو دعت إلى الصيا
أذر على راسي التراب مقهقيا
وأصحب أترابي إذا اتسم الفضي
وقد نثر الفجر الفتيق جمائه
فمن ماعز يستقبل الشمس راقعا
ونفرق في السهل الموج حاليا
فنجمع منها الفل كالطهر ناصعا
ونهر كعب الطفل صاف لجينه
نغمنا على فدرانه الزرق ساعة
نعيم حياة المرء ما دام غافلا
تولى شباني بين سقم وحسرة
فلا اكتحلت عيني بخضر جتانه
مرتت بأحواض الشبابة ظامئا

بيت على هم يروض القوافيا
ويتزلزل في لمح الضياء فؤاديا
ويجهد غيري أن يخوض المواقيا
ففي طبعه أن يسبق الدوح عاليا
فيغمر تسكاب الشعاع الروايا
كما عب نيسان السحاب القواديا
ويأتي بانبكار التصيد غوانيا

سواي له في مطلب الشعر محنة
ويبرزن لي مثل النجوم سوافرا
أخوض غباب اليم غير منفر
فلا حاجة للدوح في من يمهده
ويحتلني شعري كما يسطع الضحي
وانهل من عذب القريض صفيه
فينسج دباج الروائع مرقمي

إذا لم يكن من مهجة القلب راويا
تلبس غايات وساء مرايا
فترتد عن غاب الإعاجيب واتيا
ينقل على باتية القتم خافيا
وإن هو إلا القفر أجرد عافيا
ولا شيء إلا الرمل أحمر صافيا

فإن يراني ينظم الشعر باديا
فاختار مانوسا وأغفل نايبا
واسئل من قلب الجديد الماتيا
ومدت على الدوح الشموخ الدوايا
لا طرف ما في مطرف الحسن حايا
ولبصر الواعي قطوفا دوايا
بعمهر فاختر القوافي الزوانيا
ذخائر موانه على الصدق جانيا
وعاد بأسلاب الأعاجم غازيا
ولوح بالشوب الهجين مهابيا
لألفيته إلا من الزيف عاريا
ونانف نفسي أن تراني عاريا
وأثرت أن أفنى وإن مت صاديا

لعل بأصحابي الإقسي عزائيا
فكانوا على قلبي الجريح الكوايا
فأرقتني بالسليكات مجازيا
تجنيهم صلا أو ذابا ضواريا
عتيا وإما طيبا مرثيا
وفي سره بعضى التقى والنوايا
ويدعو إلى الإحصان والظفر زائيا
وشيلوخ بالسخت الدنيء مرثيا

وعادت سفالات الأمور أعاليا
إذا لم يكن للأفكين مواليا
فإن تتقن الزلفى بلغت المرافيا
عليها فجرها أو فدعها كما هيا
فلا بد أن تسمى مع الذئب عاريا
فتخفق حسدا أو ضميرا متاجيا
وسدد سهام الحقد أن كنت نواشيا
بصائرهم كالليل أذجن شائيا
جبان بغيء الفهم ينشد راعيا
أناس كباش يتبعون مناديا
ليخجلهم أن تبلغ التخت ماشيا
فقد لانت الدنيا لمن كان قاسيا
بوعده معسولا وسوطك عاسيا
فاجب إليهم أن يلاقوه جائيا
دروعا صلابا أو عيبا مواليا
ولا تخف الحيات ما دمت حاويا
تناولها أهل الثراء ، مرايا

ولا خير في شعر وإن راق حسنه
ونش بيان حائر اللون غامض
نظن به سسرا يفوتك فهمه
فهون عليك الخطب أن ماله
توهجت خلف الغاب نهرا وجنة
فما غاية الصحراء غير سرايبها

يعيونني أي وإن كنت حاضرا
فقلت لعمري أوتر الجزل محكما
أتال من الماضي صفاء بيانه
أنا الكرمة المخصاب أرسى عروقها
فلاحت ريبعا للربيع ومطلعا
فكانت لأرباب العقول سلافة
وما ضربي إن لم أضرج صحائفي
ولم ينصرف ذهني إلى القرب سارفا
فكم طارق جاس القبور وففسها
فالسبها من حلة الفساد منزرا
ولو نفذت عينك عبر حجابيه
شريت بكأسسي لا أروم بدليها
إذا نصبت كأسى صنعتها الثرى

تذكرت اصحابي وقد هدني الأسى
وهتمهم روعسا يقيني من اللغى
وكم نأشئ أوقرت بالفضل صلبي
كذلك سواد الناس أما بلونهم
رايت دمي الزهد أما مؤلهم
يشر بالتقوى وينهى عن الخنى
يحفى على الإيمان والدين ملحدا
مسيلة من دونه أفك مقسولا

ترى صارت الدنيا لأبليس موطنا
فما يفلح الباقي ارتقاء مكانة
إلا أكتب فإن الصدق ولئى زمانه
تهدرت الدنيا فإن كنت ساخطا
فأنشئت في غاب الوحوش وجاهة
وتخفت صوت الله فيك وتبري
تعد بهيم القول أن كنت سائسا
ولبس عليهم بالإحاجي فائسا
فكم لك في النعماء من متظنر
ستتمك القطعان فانصق فانهم
مطاييل فارك من تشاء فانهم
وكن صارما في المنكرات ولا تهن
وسيرهمو بالزجر طورا وتارة
وبالدين تبديه وإن كنت ملحدا
ولم حوالبك الصحاب عصائبا
وانزلهمو جثات وعد على الندى
فهل شمت في لبنان إلا مزارعا

لقد حظت بالطيبات قصودهم
فأفرغ بيوت الناس وأملأ فراغه

أراني غريبا في بلاد غريبة
فما أعرف الأحداث إلا نوابها
والدهى جراح النفس ما كان خافيا
إذا المأجد المضاف نزلت جراحه
كذا الأسد الرئال يطوي مصابه
يؤرقني هم يهد جوارحي
أسأل نفسي في الصباح أنالها
لكنني سعيدا لو تفهمني الكسرى
رضيت بإحلام السعادة نالها
فما أتيس الإنسان بالعقل عاثرها
فهاأنذا كالروض صوح مساؤه
كسيرا ضعيف الحيل أحذب أعرجا
وكننت كجذع السندبانسة أبدا

أفر إلى ابن الفراء من الأسى
فلا أسمع الإلحان إلا نوابها
فلو ومثان استقبل الشمسي باسمها
فأغرق نفسي في الحناد ومرقي
تعينت أن استوطن القفار ناسكا
سواء إذا ما السرء عاش يعلية
مفيت شهيدا في الحياة مضرجا
وكان إذا ما غمتي الكرب حازبا
أحس ديب الوهج بين جوانحي
فمن قد تمنى لي حياة مديدة
سامعي إلى رب رحيم يعنني
فأين الروافيون مني شجاعة
ذنوبي لنفسي ما جئت على أمريء
لقد صهرت نار العذاب ما تمنى
سامثل يوم الحشر للة خاشعا
عن القيم العليا دفعت بعرقم
نهضت بأعياء الأمانة صادقا
شكروا على الحسنى، صفوحا عن الأذى
وعن شبهات الخسف أعليت همتي
وما كنت جبارا لستر تقيصة
ولا اتقيضت كفي إذا هزني الندى
إلى الباخلين الوسرين تسددت
تعروا من الإنسان روحا ورافة

وجدتك في مدح نفسي تلامي
الم تترني والهم هد جوانحي
كلينك أن تمنى همي روس قومه
لقد سؤت بي ظنا فها أنا راحل

ولكن بيت المال قد بات خاليا
فيدغمه الشعب المكبل راضيا

وقد طمست دهم الخطوب رجائيا
وما أعرف الأيام إلا عواديسا
فاوجع مكلوبا وأعجز أسيا
تزه أن يستقبل الرزء باكيا
ولو بات مظلوم المخاب طوبا
ولو كان منظورا لهد الرواسيا
سلخت الليالي الدهم أم كنت ساهيا
وحلت أساطير الخيال مناميا
فرارا من الآراء ما دعت صاحيا
واسعد معطوك الفهم ناسيا
فاصبح معتل الأزاخير ذاوبا
وكالقصب المروض أصبحت واهيا
وكالمرح طعانا ، وكالسيف مضيا

وقد صار مني مهجتي والترافيا
وتسمها إذن الخلي أغنيا
لعاد بهاء الشمس أسحم داجيا
وسود أحلامي وغل لسانيا
وأترك أشباح الوجود وراثيا
أصاحب أنسا أم اختار ضاريا
ومن منقع الأحوال صفت ماثيا
نشقت مع السم الزعاف هواليا
والج في الحق القروب مسائيا
فمن غير علم قد تمنى شقائقيا
بغفرانه الصافي وإن كنت خاطيا
وإين حماسة الدين مني معاميا
فها كنت غدارا ولا كنت باغيا
فكانت حياتي مطهري وحياتيا
وقد حطمت كفي اليمين كتابيا
رهيف كما شمت الحمام الياميا
وقمت بآلاء الصداقة وافييا
صريحا كعاد المزن ينهل غصافيا
وصنت أبائي واقتنيت حياتيا
ولا مستبدا جلد القلب جافيا
فشمت عيون الباكسين بواكيا
نصالي فذاقوا حنظلا من هجائيا
فعربتهم للساخرين مراميا

فزور غصيانا وتعرض لآحيا
أجود بروحي أو ابث وداعيا
فجنتك باسم الشعر والمجد ناعيا
فيا لي مرثيا وبيا لي رائيا



اميل توفيق

نظرية برتراند راسل في التربية

طريقة السلام العالمي

بقلم اميل توفيق

ظهر كتاب برتراند راسل «التربية والنظام الاجتماعي» في ١٩٣٢ ، وتلاحقت طبعاته ، التي كان اخرها الطبعة الخامسة سنة ١٩٥٦ - وقد جاء الكتاب في ١٤ فصلا يعتبر كل فصل منها بحثا قائما بذاته ، وفي الوقت نفسه حلقة في سلسلة الكتاب . والدارس النامل لهذا الكتاب العميق الجاد ، لا يد أن يخرج بأفكار وآراء تربوية قيمة ، وأن يجد أسسا عامة للتحليل والموازنة في معظم قضايا العصر وحسبي أن اقدم خلاصة لفكر راسل ، أو الماسة بالمحور الذي دار حوله الكتاب ، في السياق التالي :

يرى البعض أن الأفراد الذين ينشأون ليصبحوا فرديات مستقلة - بالعلمى التربوي - يكونون بالضرورة مواطنين صالحين . . . ولكن برتراند راسل يفرق عمليا بين التربية التي تستهدف تنشئة الطفل ليكون فردية ناهية مستقلة ، وذلك التي تستهدف تنشئته ليكون مواطنا صالحا .

ذلك لان تنشئة الطفل من اجل الاستقلال والنمو الفردي ، من الناحيتين العقلية والوجدانية ، شيء يختلف من تنشئته من اجل خلقه مواطنا صالحا ، في مستقبل

الايام . ويقول في ذلك ان « جوته » مثلا كان أقل فائدة من « جيمس وات » مخترع الآلة البخارية من ناحية افادته لمواطنيه ، ولكن جوته كفرد أو كشخصية كان يعتبر ذا مواهب ومؤهلات فردية تفوق تلك التي كانت لجيمس وات بكثير .

وهناك شقة كبيرة بين أولئك الذين يرون التربية مؤسسة على محور النفسية الفردية - وأولئك الذين يرونها مبنية على اساس العلاقة بين الفرد والمجتمع .

وهنا يجدر ان نسأل هذا السؤال : ما الذي يكون الفرد ؟

هل يكفي أن يشمو الطفل في « المعرفة » - وأن يستوعب المدرجات المختلفة التي تشتمل عليها العلوم والآداب التي انتجها قرائح العلماء والأدباء . أن المعرفة وحدها لا تكفي . إذ يجب أن يقتزن ادراك الإنسان بشعور ما يدرك . المعرفة يجب أن تقتزن بالمتعة - بالفرح - أو باللذة . الإدراك لا بد له من « الوجدان » - ومع ذلك فإن الإنسان في المجتمع يستهدف الكمال وذلك من خلال ممارسته لآرادته . بسارة موجزة أن العناصر المكونة للفردية المستقلة ، والتي تدير به في طريق الكمال - هي المعرفة والشعور والآرادة . أو هي الحكمة والحب والتقوى .

وممارسة الفرد لآرادته إنما تعمل على تكامله مع انمائه في المعرفة والشعور - وبدون المجتمع لا يمارس الفرد آرادته . ولكن في المجتمع هناك فارق بين ممارسة الفرد لآرادته كفردية ، وممارسته الآرادة كمواطن .

فممارسة الإنسان لآرادته كفردية مستقلة (بدون ترويض لهذه الآرادة) قد يخلق منه انسانا مستبدا أو دكتاتورا ، لانه يريد أن يشبع هذه الآرادة التي تحقق له ذاته واستقلاله . أما ممارسة الإنسان لآرادته كمواطن فإنه يتطلب منه تكيفا وانسجاما مع الآرادات المختلفة التي تحيط به .

وظيفة التربية إذن - وهي تنفيا الفردية والمواطنة معا - ينبغي أن تأخذ هذه الحقيقة في الاعتبار : أن هناك الفردية في مواجهة المواطنة . فالفرد إذا نظر اليه كمواطن فحسب - أي من وجهة نظر المواطنة ، لا يصبح انسانا خلّاقا ، إذ أن آرادته المتكيفة تخلق منه انسانا لا آراديا ، من وجهة نظر فرديته إذا نمّت في الطريق الاستقلالي .

والفرد إذا نظر اليه من اجل الفردية المستقلة ، فسوف تتعارض آرادته مع آرادة الآخرين ، ومسئول ستعارض مع مقتضيات المواطنة : أن الاتجاه نحو الفردية هو ضد الاتجاه نحو المواطنة ، ولكن التربية في عرف برتراند راسل ينبغي أن تعمل على أن تتوافق أهداف الفردية مع أهداف المواطنة .

نظرة راسل في التربية مبنية أساسا على هذا المحور : وجود التعارض ، ووجوب التوفيق .

ففي الفصل الأول من الكتاب نجد شرحا وتحليلا لهذا التعارض تحت عنوان : « الفرد ضد المواطن » (١٣) .

وفي الفصل الأخير من الكتاب نجد شرحا لرأي الفيلسوف العالي ، الذي يتضمن التوفيق بين الاتجاهين ،

تحت عنوان : « التوفيق بين الفردية والمواطنة » (٢) .

يخلص الفيلسوف الكبير لوظيفة التربية من أجل السلام العالي ، ومن أجل ازدهار الحضارات الفردية في القوميات المختلفة ، ومن أجل أن يؤدي كل ذلك إلى رفاهية

الفرد والمجتمع على السواء .

وقد ساق المؤلف أمثلة عديدة للمواقف التي تلقى فيها التربية صعوبات ومقاومات في تادية رسالتها ، بل

إنه ساق أمثلة للتعارض الذي تلقاه التربية وفيها تسهم هي أيضا في تمكين هذا التعارض ، وفي خلق العوائق

أمام رسالتها السوية . فقد كتب فصلا في « الديمقراطية والاستقرائية والبيروقراطية » شرح فيه وجهة النظر

هذه . ويقول أن المدرسة التي تؤسسها الاستقرائية إنما تشجع على قيام طبقة تتعلم أن تستبد وأن تحكم وأن

تسود لمجرد الشعور بأن هؤلاء الاستقرائيين متميزون عن غيرهم ، ومن ثم نجد أن خريجي هذه

المدارس يصلون إلى المناصب العالية القيادية وأغلبهم لا يميزهم غير هذا الانتماء الطبقي ، بل قد يكون معظمهم

من الأغبياء . أما الديمقراطية فهي خير طالما أنها توحى باحترام النفس . ولكن آفة الديمقراطية تكمن في أنها

توحى بمناهضة التناهيين أو المتفوقين .

إن شر الديمقراطية يكمن في أنها ليس فقط تؤمن بأن بعض الناس هم أعلى وأرفع وأميز من غيرهم ، بل

وإن هذا العلو وهذا الامتياز إنما هما من الأمور الوريائية . ولكن في الديمقراطية هناك الاعتبار بأن الحقوق التي

يديمها المنفوقون أو الموهوبون تكون عرضة لمقاومة الجماهير ، أو لاثارة الغريزة الديمقراطية باسم الديمقراطية .

وبدلا من أن يترك للتربويين أمر اكتشاف التنبؤ أو الموهبة وقتما تظهر حتى في بواكير الصبا ، من أجل

رعايتها وتمهدها ، يقاوم هذا الاتجاه بحجة أن تقل طفل صغير نابع إلى صف أعلى من صف أقرانه ، إنما هو

تصرف غير ديمقراطي - ومن هنا تفوت الفرصة على التناهيين والموهوبين كما تفقد الأمة بعض طاقاتها

سعدى .

أما البيروقراطيون الذين يملكون إصدار القرارات وتطبيق اللوائح وهم ليسوا في ميادين العمل أو في

حقول الإنتاج ، ولكن من وراء مكاتبهم ، فهم طبقة الموظفين والإداريين الذين بموجب السلطات المخولة لهم

أصبحوا يهتمون بالجانب الذي أخصوا بتنفيذه دون النظر إلى الجوانب الأخرى . ومن هنا فإن راسل يقترح

بالنسبة لهؤلاء أن تكون التربية أساسا من أجل حضارة

إنسانية ، من أجل كليات إنسانية ، أو بعبارة أخرى أن

المنهاج يجب أن يستهدف نظرة شاملة أوسع ، في فروع تتكامل في النهاية لتعطي حاسة حضارية متميزة بالحكمة

والشمول .

وفي فصل عن « الأفعال والنظام » يذكر راسل أن

الشعور بالحب الذي يمنحه الكبار ينبغي أن يعطي شعورا بالآمن أو الطمأنينة (٣) ، ولكن بحيث لا يقيد أو يحد من

الشعور بالحرية (٤) . أو أن يشير ردا لفعل أنفعالي عميق . إن اللعب الذي هو حاجة أساسية للطفولة ، يجسب أن

يشبعها الإبناء والآباء لأن في اللعب تدعيبا للعلاقات

أصلية بين الآباء وبناتهم .

إن الظروف الحاضرة التي تسود العالم ب ظروف

الانقسام والصدام - قد جعلت مسألة « التربية والحرية » مشكلة كبرى . فالحرية تعاني التشويه من موعات

التعبير . إن راسل يشجع الشباب في التعبير عما يحس من مشكلات . ويقول لديهم يناقشون في حرية ما يحلو

لهم من موضوعات تهمهم كموضوعات الأخلاق وغيرها ، وليقولوا ما يشاؤون بشرط أن يكون حديثهم هو حديث

العقل والمنطق ومقارنة الحجة أو هو الحوار العقلي

المتفتح . ولو أنهم أعطوا الفرص التي فيها يفكرون بعقولهم هم لا يقولوا ما يشاؤون بشرط أن يجدوا تعنيفا أو زجرا أو

قسرا أو تعديبا ، فإن هذا الجو الذي يتيح لهم الكبار ، إذا افترق بالوجدان والحب ، سوف يجعل الحرية

والآمن يسيران جنبا إلى جنب ، ولكن طالما أن الأوضاع

النفسية الحاضرة ، في أي بلد من بلاد العالم ، هي على ما هي عليه ، فإن النتيجة الحتمية للتربية الراهنة تجعل

الحرية إذا نمت في فرد ما فعلى حساب شعوره بالآمن - أو تجعل شعوره بالآمن إذا نما فعلى حساب حرته .

إن بناء الرجال الذين عليهم أن يخلقوا عالما أفضل هو المشكلة الكبرى التي تواجه علم النفس أو تواجه

المربين اليوم . المشكلة في أساسها كيف تجمع بين حرية الفكر وسلامة الاتجاهات العاطفية والبيادي والميول .

وفي فصل آخر بعنوان « الغريزة الجماعية في التربية » (٥) يحلل لنا المؤلف الأثر الذي ينتج من تفاعل

نفسية التلميذ مع المجتمع المدرسي ، والمجتمع الكبير . وخاصة هؤلاء الأفراد التناهيين أو المرموقين أو الذين

يتميزون بالاحساس الدقيق . ذلك أن أية جماعة توحى في أفرادها الضرورة بالتطابق أو التماثل . وقد يحدث

أن بعض النفوس تستشعر الصراع نتيجة ما تحس بالشعور بالاضطهادي ، أو بشعور الصنعة ، أو بشعور التمرد وما إلى ذلك من أنواع المواقف المنحرفة ، التي تنعكس على سلوك أصحابها . والمؤلف في هذا الصدد

يتم كسائر المربين أن تعالج المدرسة ما توحى به الغريزة الجماعية من غواف أو مشاعر أو اتجاهات

منحرفة ، وإن تهيم الجو لتقوية العوامل التي تساعد على التمثال السوي ، وإرسال المبادئ الاجتماعية السوية . من أمثلة الشخصيات التاريخية التي تأثرت بفصل الضغط الاجتماعي ، يذكر لنا المؤلف كارل ماركس وذرزاني . وفي مقارنة بينهما يقول إن ماركس كان يحس وهو شاب بالحدود نحو مجتمع يظفده ليهوديته ، ولذلك فقد كان رد الفعل - في تكوين شخصيته واتجاهاتها - موجها لا إلى مضطهده الأصليين ، بل إلى الراسماليين - وهؤلاء كانوا حقا مكروهين . أما دزرزاني - وكان يعتقد المسيحية ، مع انتماه لأصل يهودي ، فقد جعلته مسيحته أن يعمل على أن يتمثل سلوكه مع سلوك المجتمع البريطاني - ومن ثم فقد كانت نفسيته تميل للاستقرار . إذ كان يستشعر الطائفية من عدم الاضطهاد . وبعبارة أخرى فقد تحول كارل ماركس إلى شخصية ثورية ، وأما دزرزاني فقد وصف سلوكه بالتقليد الواقعي من الاضطهاد .

وفي المبادئ وتطبيقها يذكر المؤلف الكبير أن الدول وبخاصة الكبرى تنتهك المبادئ التي ترفع للشباب شعاراتها . ويقول إن الولايات المتحدة الأمريكية تعلم الناشئة تاريخ إبراهيم لنكون ، وترفعه كرمز الحرية التي تبشر بها ، ومع ذلك فكل من يرفع صوته مناديا - مثل لنكون - بالحرية يجد نفسه مكبلا بالقيود . ويقول أيضا أنه لو جاء السيد المسيح إلى إنجلترا التي ترفع اسمه وتدين بتعاليمه ، وتصره كمنصف منذ ألفي عام ، لما سلم من قبضة بوليس سكوتلاند يارد !!

وفي باب « الوطنية في التربية » (٦) يكتب فصلا . والما . أنه يحل فيه حب الوطن الأصل الذي قوامه حب الفلاح والزارع للأرض ، وحب الإنسان للمكان الذي نشأ في ربوعه ، وحب للثروات والأموال الحضارية التي تنتمي لهذا الوطن . ولكن لماذا يمتزج هذا الحب الأصل بكرهية الاوطان الأخرى ؟ والتقليل من شأن القوميات الأخرى ؟ لماذا ينقلب حب الوطن ولا سيما لدى الدول الكبرى إلى تعصب قومي ، وإلى الرغبة في الغزو واستعمار الدول الصغيرة ؟ وبدلا من اقتصار وظيفة الدولة الخارجية على شؤون الدفاع ، تجدها تتجاوزها إلى الغزو والاستعمار والامتداد بالحرب ، وتصيح الوطنية منداهة مقترنة بالحرب والغزو والعدوان . أن من يقرأ هذا الفصل يضع يده على تحليل رائع لقضايا هذا العصر - وخاصة تلك التي وقعت بعد تأليف الكتاب مثل قضية الشرق الأوسط ، ويجد « منطق راسل تنديداً بوقوع الصهيونية ، بل ويستطيع أن يربط بين ما كتب في هذا الفصل ، ورسالته الأخيرة التي أرسلها إلى مؤتمر البرلمانيين الذي انعقد في القاهرة أخيراً ، قبل وفاته بيوم واحد .

إن راسل يخاطب الساسة ورجال الفكر جميعا في كتابه هذا من أجل انتقاذ العالم من الهوة التي سيتردى

فيها لو تركت « القوميات » بدون ترشيده وتعديل وتغيير يكون في أساسه ترويبا . وهو يقترح أن يكتب التاريخ العالمي لجنحة تضعضع عصبه من الدول ، بحيث تستبرز الحركات الحضارية أكثر مما تبرز الحروب ، وإذا ذكرت البطولات التاريخية ، فلا ينبغي إغفال التنديد بالعدوان واللامس النبوية والمظالم الصارخة أن التاريخ اليوم يعجد الحرب ، ويفعل أثر هؤلاء الذين يعملون على إرساء قواعد السلام ومبادئه . والتربية الحديثة يجب أن تعمل للسلام في عالم الفرد . يقول راسل ربما كان تخيلي لعالم السلام نوعا من الأحلام أو اليوتوبيات . . ولكن النضال من أجل تحقيقه يستحق العناء ، ويستاهل التعاون المشترك المتميز بتطبيق الأسلوب العلمي وتكامل الإرادات جميعها . ما الذي يحدث نتيجة التعارض بين اتجاه الفردية واتجاه الوطنية في التربية ؟ وكيف تعمل التربية على التوفيق بين الاتجاهين ؟ . .

يقول راسل أنه جيشا يكون الهدف المطلوب هو الوصول إلى التوافق التام - في مجتمع يسوده الظلم الاجتماعي مثلا - فهناك تينجتان حتميتان : الأولى تقضي باخضاع الإرادة الفردية أو بالوصول إلى الموافقة التامة . والثانية أن تتعدى هذه الإرادة الفردية على الإرادة المقروضة . وكلا الأمرين شيء غير مستحب من ناحية الوظيفة التربوية - إنما الشيء الجدير بالاهتمام أن تصبح التربية أداة للتغيير والتطوير ومن ثم تصبح هذه الأداة مناهج التوفيق أو المصالحة بين الاتجاهين . وقد أوضح راسل أن التغيير الذي تؤدي إليه

التربية يشترط أن توفر بعض الشروط الهامة . أولها أن القائمين بشئون التربية أنفسهم ينبغي أن يكونوا من طراز الرجال الديموقراطيين والذين يحددون اتجاهاتهم ومبادئهم مع الاتجاه التقدمي الجديد - لا من النوع المتفلسف المستبد الموق لكل تطور ، أو النوع الذي يحب السلطة والمظاهر . والشرط الثاني أن دعاة التغيير ، في الدولة يجب أن يتميزوا بسعة الإدراك ، وبقدرة عالية من التصور أو التخيل تمكنهم من الحكم الصحيح على الأشياء ، وتجعلهم متفهمين للقيم التي يستهدفون الوصول إليها أو المبادئ التي يرون أنها ينبغي أن تسود المجتمع مستقبلا ، دون أن يكون لهم هدف الغنى الشخصي . ودعاة التغيير هؤلاء يجب أن يكونوا ممن يطبقون الأسلوب العلمي سواء كان ذلك في المشكلات العلمية أو

«Education and The Social Orders»

.. وفي النسخة التي طبعت بأمرها كان عنوان الكتاب

«Education and The Modern Worlds»

Individual versus Citizen (1)

The Reconciliation of Individuality and

Citizenship. (2) Safety (3) Freedom (4)

The Herd in (٥) أصل العنوان هو « القطيع في التربية

Patriotism in Education (6)

ما اودعك

الوجد رقي فاوجعك
والحزن جفف آدمعك
حيران .. ولهان الشجون
يسحر جفن لوعك
كبر الهوى في خافيك
فراح يروي اضمعك
ورنوت للحب الشهي
فكسان جرحك مرعك
اقبلت تبسم لللدلال
فمال عنك وودعك
وزعت عمره ، غانما
بؤس الجوى ، فتوزعك
لله انت ، ممزق
الاهات ، يا ما اودعك
يكفيك ، بارحت الجمال
فلا عليك ، ولا معك

فوزي عطوي

الصناعية او في المشكلات الاجتماعية . فالاسلوب العلمي هو الطريق الوحيد الذي يؤدي الى اكتشاف الحقائق ويقود الى المخترعات وإلى الحلول للمشكلات . ويتبارن راسل بين العقلية العلمية وغيرها من العقليات فيقول ان عقلية الشك او الذي يشك في كل شيء ، عقلية لا تصل الى شيء من الحق ، والعقلية الجامدة ترى ان الحقائق قد عرفت منذ القدم وأنه لا يمكن الوصول الى شيء جديد من الحق . اما الباحث العلمي الذي يطبق الاسلوب العلمي بوسائل البحث فان عقليته تجد امامها الطريق مفتوحا ، كما ترى في الافق شيئا مجهولا عليها ان تكتشفه ومن هنا كان التطور والتقدم والتجديد ممكنا ، وحتى الوصول الى الحقيقة من طريق العلم لا يجعل تلك الحقيقة مطلقة او نهائية ، لانها في عرف العلم حقيقة نسبية ، وقد تدخل في اطار الحقائق الأخرى ، كما يمكن ادخال التعديلات عليها او التصحيح فيها .

على ان الشرط الثالث والمهم لاجداث التغيير المطلوب هو عنصر هام انساني ويتعلق بالمجتمع ككل ويعني به راسل عنصر التماسك الاجتماعي لانه يعتبر القوة الارادية الدافعة الى اهداف التغيير . ويعتبر راسل ان هذا التماسك له جذوره الهامة التي ينبغي تدعيمها كشعور افراد المجتمع بالترابط المشترك وبالايجاد الحضارية .

ويتابع راسل القول ان اكبر خطر في التطبيق التربوي يتأتى من ان دعاة التغيير من اصحاب العقلية العلمية يجابهون في المجتمع الاتجاهات الرجعية التي تهدم وتعلم ما يبنيه العلم وما يصل اليه من نتائج وبدلاً من ان تؤثر النتائج العلمية على سلوك الناس يسود العمل وتزدهر الحضارة والانتاج ، اذا بأصحاب الاتجاهات الرجعية يقامعون وقد يتسلطون وبذلك تسود الوظائف الهوجاء ، والظلم الاجتماعي ، ويفتقر المجتمع الى ايجاد الحلول السليمة .

ومن هنا يدعو راسل القائمين على شئون الدولة الى ضرورة ازالة الرجعية ، ودفع تيار التقدم ليسير في مجراه . ويلاحظ الفيلسوف الكبير ان عنصر التماسك الاجتماعي - والعنصر القومي - له آفته الكبرى حيث ان القومية - كما ذكر من قبل - هي التي تخلق في الظروف الحاضرة وفي ظل أوضاع العالم الراهن وبخاصة في ظل تسلط القوميات الكبرى - تخلق - اتفاضل والانانية وحب الحروب ولا تدعو الى التكامل والسى التعاون كما ينبغي ان تؤدي اليه التربية القومية .

ومن اجل ذلك فان التربية القومية عند راسل ، ينبغي ان تشع وترفع لتشمل شيئاً ألعلى منها هو الشعور بالعالمية . ذلك ان هناك تماسكاً آخر ضرورياً لحفظ التراث البشري كله ، هو التماسك الدولي الذي يتضمن الشعور بان الجنس البشري هو وحدة متعاونة . وبعبارة أخرى ان حاسة التعاون القومي ينبغي - عن طريق التربية - ان تنمو وتكبر لتشمل حاسة التعاون الدولي او القومية العالمية من اجل الحفاظ على المدنية

ومن اجل تحقيق هذه الحاسة يشترح راسل انشاء الحكومة او الدولة العالمية وفي نطاقها يتم تكوين المؤسسة التربوية العالمية التي تجعل رسالتها هي تحقيق الولاء لهذه الحكومة او الدولة (بدون تعارض) بل مع تكامل الولاء للدولة الوطنية) . وصحيح ان راسل يقر بان مثل هذا الاقتراح صعب التنفيذ ، وأنه سيلقى صعوبات ومقاومات لا حصر لها ، ولكنه يقول اذا كان الدليل لهذه الدولة هو دمار المدنية وفنائها ، فان النضال من اجل القومية العالمية لاند طويل يستحق كل عناء .

ان المجتمعات الحديثة هي الان اقرب التصاقا وقربا عما كانت عليه في الماضي من ناحية التركيب الاقتصادي والسياسي ، واذا كان عليها ان تحظى بالنتاج ، فان هناك التزاما بنماء المال في طريق المواطنة العالمية .

واذا حدث هذا ، فمعنى ذلك استتباب عناصر السلام لكل قومية من القوميات ، وبالتالي سوف تتوفر عوامل الانتاج والاحياء للحضارات الفردية ، وازدهار الفنون والاداب ، ورفق مستوى المعيشة في كل بلد بما يحق السعادة والرفاهية للفرد والمجتمع على السواء .

اميل توفيق

شبين الكوم - ج.ع.م.٢٠٠٠

الى صديق

تلمع الدهشة في عينيك
 يتفتح السؤال
 في الغم اليابس للفيظ :
 - « لماذا
 كلما أخطأ انسان تسامح ؟
 ولماذا كلما أخفى صديق
 عنك ما يشمر في النفس تصارح ؟
 اهو ضعف وغباء
 ام ضلال
 منك عن درب الرجولة
 ام غريب أنت عن هذي المسارح
 تجهل الادوار ...
 تركيز قناع الآث ؟
 هز السيف ...
 عادات القبيلة ...
 ورماح الثار
 سبور المزم في وجه تعد
 يتخطى بسهولة ،
 كلما شاء اعتلاه واجتيازا ،
 حائط الحديد ...
 ويطويه بفقرات اعتداد وطولة »
 - انا صهو من دم الصيف
 وفجر من نقاء ومحبة
 واكتناه كسر القشرة
 عند سطح يغطي
 الف فردوس على الارض ورغبة ...
 انا انسان يرى العيش
 صفاء وطول
 ويرى في بسمة الانسان قلبه
 ليس للبغض ثوان عنده
 عينا يهدرها ، في غرزه
 يلقوب الناس نابا اسودا
 راعفا بالسسم ناصح
 وهو في رمل البوادي واحدة
 ترشف الطيب وافياء السوانح ...
 طائر من جنة الحب التي
 تزرع الشوق التهافتا في الجوانح
 كلما افقت لديه رغبة
 هفتت في النفس آلاف المراحل !

سواد الخشن

الشويفات - لبنان



المستشفى ذو عينتين منتعختين وذعن
خشنة سوداء تميل إلى الزرقاء .
قال بعد أن اعترض طريق السيارة
ولد بفقر :

— بلعن الأولاد .

كرهت السائق لأنه يلعن الأولاد
.. بلعن الحياة .

الناس يمتصهم العمل ، وهم
لا يعلمون أن مخلوقاً مثلهم سيكون
معه بعد قليل . لم تقل لي أمسي
أنها تعبت في ولادتي ، وأنا أدرك
إن أنا لم أرحت وأتلت كثيراً !

في البهو العتم الثقبت بأخي
يقف جامداً .. لفافته في فمه ،
وولاعته في يده ، يفرغ تور أمصابه
فيها ، يولعها ويطلقها . لم يقتل لسي
شيئاً إلا حين خرجت ممرضة
صغيرة بسرعة وهيئة معلقتان
بالباب :

— خدروها .

سرت في جسمي حركة ارتياح
.. لن تشعر بالألم بعد ثلاثة أيام
قائمة . التور المسترسل عبر زجاج
الباب أصفر شاحب ، وصمت أخي
قوي ، ودخان اللغافات يتجمع في
سقف البهو الواطئ ويصنع بركة
عميقة من الانتظار . انني لا أصرف
مشاعر إنسان ينتظر أن يصبح
الثنين .

فجأة يجد نفسه اثنين .. قطعة
منه تتحرك ، تبكي وتصرخ وتضحك .
ولكنني أوقن في أعماق نفسي أنها
أصدق مشاعر في الوجود . قرأت
في عيني أخي آيات الحنان قبل أن
يرزق شيئاً ، قبل أن يعرف شكل
المخلوق المنتظر . أنه لنسيه رائيم
أن يحب الإنسان شيئاً لم يره بعد !
جلس على مقعد طويل ، وحاولت
أنا أن أفعل ما يجعله يتسم ، إلا أن
التلق كان يدور في غرف المستشفى ،
يدور ويتر ، ويفسرب بجناحيه
الفرحين أهدابنا وقلوبنا ، ويلكز
وجنائنا ، وصمت الانتظار يقف أمام
الأبواب بقماته الأسطورية ، ويحمل
منجلاً لأمه يطوق قلعة كاملة .

عبر الجدران الصم تسرب اليأس
.. الساعة لثامنة والشمس محرقة ،
والمدايح صامتة ، فقد فرغت
مدخراته في هذا الصباح .
والجيران لم يستيقظوا بعد ،
فالسقف لا يزال ساكناً . سحبت
شباكي ، قلت :

— خير !

جامني صوت بعيد ، مضطرب ،

أرقه الألم :

— أنها تعذب ...

والطبيب .. ألا يفضل شيئاً ؟

— يعمل جهده .
لعت الهاتف . .. وشتمت مدير
البريد . أمي قالت الأطباء لا يفهمون
شيئاً ، والولادة في البيت أفضل
.. الأطباء يعرفون كيف يطقون

الطفل الذي لم يبك

يقلم جهاد الكاتب

ذقونهم وشواربهم ويركزون
نظاراتهم فوق عيونهم .. ثم أنهم
يكذبون . كنت أحتد لكلامها ،
وأحاول إقناعها بأفضلية العلم على
الانبالات الجاهلات .. ولكنها كانت
تعرّب عن سخريتها مما أقول
فأسكت .

أخي يدل كل ما يملك كيلا يسمع
صوت الأم زوجته .. ولكنها
تصرخ !

كل الشوارع تضيق ، وجدرانها
تنشاهق ، وأعمدها تتطاوّل .
وسائق السيارة الذي حملني إلى

قصّة

تركت سماعة الهاتف كصيد فاشل
بفقره شعوره بالهزيمة . الدنيا بكل
صخورها تنحدر إلى يسدي ،
واللغافة لرخيصة تنبخر بسرعة
تقلّتي . عقارب الساعة لصوص
خبثاء .. وأصوات الأمهات في
أذني صيحات ألم ، يصرخن ويبكين
.. ثم تحدث الولادة .

لا أدري ماذا أفعل !

أضغ شفتي ، وأطعن الأرض
بقدمي .. وأنهض لأنظر عبر النافذة
الواسعة .

شمس يلول محرقة . والأشجار
صامتة مدمورة .

وميت نفسي فوق الكراسي المخدرة
.. تنقلت من غرفة إلى غرفة .
فتحت دليل الهاتف السميكة ،
وطبقت ثم رميته بعيداً ..

نظرت في المرأة .. وجهي وجه
امرأة مجرّز صلباء . وخسرت في أن
شاربتي المخلوقين يبرزان كاشواك
متهدلة مداسة ، ورأسي يصفر ..
وكلت أضرب بقبضتي المرأة !

القلق تسرب من الجدران .. من
النوامد ، يطرق الأبواب ، ويهمس
في أذني .. أهرب منه فيشد نفسي
أذني لحنا قاتماً .. ماذا لو تعثرت
الولادة ! سيقول الطبيب باقتضاب :

— الأم أو الطفل ؟

وسيقول أخي بسرعة ، ودون
تفكير :
.. الأم ..

عندها ستخرج قطعة لحم صامتة
.. وينهي الطبيب عمله بشد أصابعه
على وريقات مالية وكأنه يصنع
التاريخ ! لماذا أنت متشائم ! ..
زجاج النوافذ وجوه متألّمة ،
معدبة . إذا أخطأ الطبيب ذهب
الحياة ، واشتعلت للمعوق في
العيون . الطبيب لا يصنع
شيئاً ، لا يعطي الحياة .. ولكنه
يستطيع أن يفعل شيئاً من أجل
الحياة . لماذا يحلو لبعضهم أن يجعل
الحياة تجارة .. ربما يصنع
المجرات !

محب الدين الخطيب

مؤسسة لابنه الوحيد قصي الخطيب

★

سكن الروح واستباح القلوبا
ر ، ورفت في الحسن نخلًا رطيبا
ثم ، سعى به القام الرقيقا
ضة « ، أزجي إليه ردا حسيبا
جعل الكتب همه المطوبيا
في رحاب الكتب ضمت عجيبا
م ، له نغمة تند طوبيا
ف ، وأحيا فيها الكتاب المصيا
كاتباً ، واتمى البعاد القريبيا
سراء « الألامها فرعن الخطوبيا
واه تغل كان عالمًا موهوبيا
ملك السمع واصطفاه سلبيا
ساعدا عابدا طهروا منيبيا
كل حفظ مواعظا ونسبيا
ه إلى مصغر « النبي » أربيا
ف ، هل كان فبقربا طيبيا
وأحيا التراث نعبا ادبيا
قياه بجوف الدجى بناجي القيوبيا
وتحنانه يضم القريبيا
سرحوت ما دهشت بحرا صيبيا
وجديدا شهي اليك العروبيا
في سبيل القنوت ، عفا مهيبيا
دع ما أن ترى عليه معيبيا
من تجده عنوانه المكتوبيا
ب ، ونورا أضاء جيلا نجيبيا

عاشق الفوطتين ماء وطيبيا
سأه حب له يشق الجيوبيا
نك في وجدهم شبا وشيبيا
في الفرديس للهداة جنيبيا

لك ديار الطلود فيها خطيبا

زكي الحاسني

يا « خطيبا » قد عاش فينا حبيباً
في ضفاف النيل استقامت له الدبا
« شارد الفتح » كان موطنه الدبا
جنته ساكن الجوار على « الرو
ادهشتي فيه سحجايا أمام
بات بين الأوراق صفرا ويبضا
سلفيا قد كان في منبت النشا
فاتى مصر يائسا في التواليد
نشر الكتب طابعا واديبيا
ويج شهرة جلاها من الزهد
أن تسل مصر في توارخ جد
في احاديثه حلوة سحر
عشق الروح واجتواه كراه
كان للشعر راويا يتحدي
ولنسى « الحديث » يرفع لقا
قد تحيرت في صفات له في الوهم
أو تولى روحية الفكر والفن
ناصر الوجه ، مشرق النفس والد
كان ملء القريب هديا ومونا
ذكريات له تمنح على الدهر
وعراكا في الفكر كأن قديما
مسلمًا مؤمنا يفيض حياة
زاهدا في القبوس والمظهر الخا
أرخ المجد في سبيل الميحد
كان ركنًا في نهضة الشرق والعر

حن للشام واشتكى في هواه
وعلى «دمر» و «الربوة» الفنا
ان « آل الخطيب » طرا يؤدو
فاتخذ في الطي مقاما سريما

يا « محب الدين الخطيب » تنادى

دمشق

الدكتور سابا سبر - محمد حسن

عمد الدين

بقلم البدي الميم

١ - الدكتور سابا سبر

منذ طاف الدكتور سابا سبر بالعالم الجديد وكس انعدام الروحانية في نفوس اناسيه ووقف على مناساة الانسانية في اسيا وافريقية ... وعلى الظلم الفادح الذي يلو شروره سواد الناس هناك ... وهو كافر بسانن القيم والمثل العليا ... وبأنس من « الأمم المتحدة » ومن الانفاط التي يجترعها السؤل ... وظلل التشمار الذي يردده في ندائه شرقا وغربا ... قوله الصريح الجريء :

« الحرية ؟ الاستقلال ؟ الوطنية ؟ القرابة القومية ؟ الأمم المتحدة ؟ حقوق الإنسان ؟ الحرب الباردة ؟ ليست هذه جميعا سوى مفردات وزخارف ... ما دامت القومية الطامع تعيش حياة أسوأ من حياة الدواب ... والقرية ... في الايام القلرة والظلمه في مدن وقرى اسيا وافريقية ! »

ولد « سابا » في بيت القدس سنة ١٩٢٢ وبعد من أسرة عربية في عرويتها ، سلفية بظلمة من المهتمين ولذي الحرف الصرة على فلسطين وشقيقتها العربيات ! وكانت دراسته الابتدائية في مدرسة المطران بالقدس والثانوية في كلية « ترسانة » وحصل منها على دبلوم سنة ١٩٤١ ونجح في امتحاني مرفك لندن والترك الفلسطيني . وفي سنة ١٩٤٤ حصل على بكالوريوس في الهندسة المدنية من الجامعة الاميركية في بيروت بدرجة أولى مع امتياز وفي سنة ١٩٤٦ حصل على بكالوريوس في الهندسة المعمارية من جامعة القاهرة ببلوق وخلال العطلة المدرسية كان يعمل رساما صمريا في مكتب والده المهندس جورج سابا في القدس .

وفي سنة ١٩٤٦ قصد الولايات المتحدة طلبا للعلم وبعد مسنة حصل على الماجستير في الهندسة المعمارية من جامعة « ماساشوسيتس » الستيت اوف تكنولوجي » ، وكانت الأطروحة التي لهما تصميمياتي كلية الهندسة في القدس الا كان والده المرحوم المهندس جورج سبر قد اشترى الارض للكمرة لبناء « جامعة القدس » على جبل سككوس والتشيخ جراح « بها في ذلك القلب البديني » وكان يعد نيطة سابا لتسلم شؤون الجامعة بدلا بكلية حديثة للهندسة في حاجات منظمة القدس ولتعد من هجرة الشبان العرب الى الخارج .

وفي سنة ١٩٤٨ أحرز ماجستيراً ثانية من جامعة ماساشوسيتس في تنظيم المدن والاقاليم وكانت الأطروحة الثانية التي اعدتها للكمرة للأطروحة الاولى وموضوعها تصميم وتنظيم المدينة الرقاب نموها حول « جامعة القدس » .

وفي سنة ١٩٥٦ نال شهادة الدكتوراه من جامعة كورنيل وكان موضوع الأطروحة التي قدمها « التكوين والتطور لمدني » وقوام هذه

الأطروحة ٥٩٩ صفحة جاءت في مجلدين المصنفين احدهما يشتمل على رسومات فنية بريشته وقد انسجت بميزتين :

الاولى : انها تشتمل على عدة نظريات فنية اساسية .

الثانية : انها كتبت بلغة انكليزية رفيعة ، ولقد استعان اساتذته ببعض الفلوفين من القسم الانكليزي في الجامعة لتفسير وتبسيط بعض المصطلحات والتمايز . وكانت موضوعات دراسته للدكتوراه الرئيسية « تنظيم المدن والاقاليم » والثانية « الادارة العامة والتجارة » .

وخلال اقامة الدكتور سبر في الولايات المتحدة عمل مهندسا صمريا في مدينة هاريسبورغ بولاية بنسلفانيا (صيف ١٩٤٨) واستاذ مساعد في العمارة وتنظيم المدن بجامعة كنساس في مدينة مانهاتن بولاية كنساس (صيف ١٩٤٨ - ١٩٤٩) ورئيسا لمهندسي التنظيم في مدينة كنساس بولاية ميسوري (صيف ١٩٤٩) واستاذ مساعد في تنظيم المدن « معهد رانسلي بوليتيك » بمدينة تروي بولاية نيويورك ١٩٤٩ - ١٩٥٠ . ومستشارا للقسم الاقتصادي في مجلس التخطيط بمدينة تروي بولاية نيويورك ورئيسا لكتب هندسي معروف في مدينة بوسطن بولاية ماساشوسيتس (صيف ١٩٥٠) واستاذا مساعدا في « معهد رانسلي بوليتيك » بمدينة واشنطن (صيف ١٩٥٠) .

وفي صيف ١٩٥٤ عاد الدكتور سبر الى بيروت ليعمل استاذاً في كلية الهندسة بالجامعة الأمريكية ولؤسس فرما لتنظيم المدن الا انسه آخر الرجوع الى الولايات المتحدة للحصول على الدكتوراه من جامعة كورنيل حيث كان يعمل خلال سنتي (١٩٥٤ - ١٩٥٦) ويعمل مهندسا صمريا في مركز كورنيل للابحاث السكنية . وفي سنة ١٩٥٦ عاد الى بيروت نهائيا وترأس الكتب الفني في المصلحة الوطنية للتنظيم (١٩٥٦ - ١٩٥٩) . وفي شباط ١٩٥٩ عمل مستشارا لفيلا لشلوون التنظيم في بلدة دمشق ووزارة الشؤون البلدية والقروية .

وفي ايلول ١٩٥٩ عين عمدا للكتب الاستشاري في مدينة « حبي » بالبيروية وصمم عدة مشاريع لشركة ارامكو ، وفي سنة ١٩٦٠ عمل مستشارا للكتب الاستشاري الهندسي في بيروت وخبريا لوزارة الاشغال العامة اللبنانية .

وفي سنة ١٩٦١ عين مساعدا لرئيس المهندسين في وزارة الاشغال العامة بالكويت حيث كان مسؤولا في قطاعات المساحة والتنظيم والتصميم .

وفي صيف عام ١٩٦٨ قصد مدينة بادنو بهام بالمانيا ليفحص اجازته هناك فحصل مصفا مالمجة امراض القلب ، ولقرا للامصال القرحة التي اصطلح بها وقام بتخطيطها والجازها لفي نجه في « ٧ - ١٩٦٨ » اولى توية قلبية حادة ففست على هذا البعير .

وبعد ان حبل جثماته ارسل جوا عن في تكلوت الى بيروت ودفن في ٧ - ٧ - ١٩٦٨ ببقيرة كنيسة سيفدة التياح الارثوذكسية براس بيروت ، فصر العرب بعد هذا التايغ المصفا مهندسا كراما اسس بالظر التير والثقافة العالية ، وترك مكانا شامعا في ميدان التخطيط والعمارة والزراعة ومركز الابحاث ومضوا ومستشارا في المجلس البلدي الكويتي ومضوا وخبريا في الصندوق الكويتي للتنمية وخبريا في مجلس التخطيط الكويتي .

وفي سنة ١٩٦١ استمته الحكومة الأردنية لاستشارته في تصميم مدينة عملة وفي سنة ١٩٦٦ وضع تقريرا شاملا من التنظيم المدني والاقتصادي في ليبيا .

وتقدرا لطفه القير وكفائته الفنية الفلة اطلقت عليه مجلة « ميل ايمت يزس داجيست » لقب « الشخصية العربية لعام ١٩٦٢ » واسمته « المخطط العربي » .

من آثاره القلمية : زود الدكتور سبر خزانة الهندسة العربية بشوامخ من المؤلفات الفريدة وله فائلا اهل الفن شرقا وغربا بالتقدير والاعجاب ، ونشر عشرات المقالات الفنية في اكثر من خمس ومشرين

مجلة وصحيفة ، وقد حث فيها على ازدهار التنظيم الصحيح للصناديق والبنائيات .

وكان من هوياته الرسم والكتابة وإلقاء المحاضرات الفنية ، ونشره ما يقرب من ألف مقال باللغتين العربية والإنكليزية في صحف لبنان ومصر والكويت ، وتناول فيها موضوعات طريفة ، ولقى إقباله الفسحة الإنكليزية أصحاب الكثيرين من الأعلام الفلويين .

ولم ينس الدكتور شير فلسطين وحقه الضويف فكيف عن مسألة العرب فيها غلات قيمة بالإنكليزية والعربية فويلت يتقدم من التفتين والساسة .

ومات الدكتور شير وهو يعكف لنفسه ... ويرسم لنفسه ... لأن من حوله لم يطعموه ، ويبلغه خبر العالم العربي علما من أعمال التخطيط والعمارة ، ولم يترو همندي عربي مثل ما ترك الدكتور شير من مؤلفات ودراسات ويصوت ستكون مرجعا علميا على مدى السنين ، وسيلذكره التاريخ في لحنه ملافا مهنسا عظيما حاصر في بيروت والقاهرة والكويت وطوكيو وسنغافورة وبراهم وطرابلس (ليبيا) وبغداد والبصرة وينبذهي والخرطوم وشيرات وبريسولندن وأديسأبابا ودوركي (الهند) وفيزيان وبلفراد وباندمونغ وكولومبو وعمان .

كان الدكتور شير يعد بحق مرصدا عربيا للفهمسة وفي يفتني أن الآثار التي خلفها يجب أن تدرس عناصرها لتلم بأبعاد شخصيته الفلدة ، وأن المؤلفات والدراسات والبحوث التي تركها في الفلانة العربية لم يترو نظريها فنان سواء ..

ولقد اجزل في حياته للدكتور شير فوهيه عتلا نيرا يرى الاسود على حقيقتها ، ولعلما خصبا يحير من خلجات نفسه ومشاعره . وكانت رسومه عبارة عن نقف وخطوف ... يفسها ويؤلفها ويتركها ببساطته ... فوها مدنا ومعارات وعتاف وشغوصا لتلق ميقارته . ولدت برشته سلسلة من المؤلفات الهندسية الزائنة تتألف عربية وقد نغنى فيها بهارة العرب وبرايمتهم في الفن المعماري وألف تلك اللوحات التي رسمها اصحاب التقدير أهل الفن (الكثير من اللوحات التي رسمها زين جبريان سفارات دولة الكويت) .

ومن رسومه في فلسطين : القبة المقدسية الشريف ، قبة الصخرة المشرفة ، أحد أبواب القدس القديمة ، إحدى غرف القدس القديمة ، منظر من القدس القديمة ، بيت لحم ، القلياسة ، منظر عام لمدنية القدس .

ومن لوحاته في الأردن : البترا ، جرش .

ومن رسومه في الجمهورية العربية السورية : منظر عام لجزء من صناع ، منظر عام لصناع من أحد سطوح منازلها ، منظر بين كويين المدينة البنيية ، واجهة إحدى المعابر السكنية في صناع تبدو فيها معالم الزخرف ، مآذن مينة تحاكي ناطحات السحاب .

ومن لوحاته في القرب العربي : إحدى المساحات العامة ، سوق مسقوفة في مدينة مراكش يبرز الشكل القوس الذي تشابه فيه معظم الاسواق في المدن العربية والإسلامية القديمة ، إحدى مآذن مدينة فاس ، مسجد ومثمنة في نطوان ، مثمنة أحد مساجد مدينة فاس وكثها برج أو ناطحة سحاب ، مثمنة في الدار البيضاء ، مثمنة تتجلى فيها الزخرفة والبراعة في الرسم والتحت .

من أبرز مؤلفاته :

- ١ - التقرير السنوي الأول - بالعربية - (٣٤٠ صفحة) ١٩٥٧
- ٢ - وجوه المدينة - بالعربية والإنكليزية (٨٦ صفحة) ١٩٦٢
- ٣ - علم التنظيم وتطور الكوت - بالعربية (٨١ صفحة) ١٩٦٢
- ٤ - علم وتنظيم المدن العربية (١) - بالعربية (٣٠٢ صفحة)

(١) نال هذا الكتاب سنة ١٩٦٤ إحدى جوائز جمعية أصدقاء الكتاب في لبنان . وكانت الجائزة مقدمة من بلدية بيروت .

١٦٠ .

٥ - المدينة الكويتية - بالإنكليزية (٧٠٢ صفحة) ١٩٦٤

٦ - افاف جديدة لندن - بالعربية والإنكليزية (٢٢٢ صفحة)

١٩٦٦ .

٧ - النمو المعاصر للمدينة العربية - بالإنكليزية (٨٥٠ صفحة)

١٩٦٨ .

والكتاب الأخير يعتبر مرجعا مهما في فلاح تطور البلدان العربية ومنها ، ويبرز قيمة التراث العربي وأهمية ما قدم العرب في حقل العمارة وتنظيم المدن وما يتأخر منها كعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرها من العلوم الاجتماعية . وفي هذا الكتاب شد الدكتور سابا على أبرز العلامة العربية « ابن خلدون » كمرجع قديم مهم في هذه الموضوعات ، وقد عمل على ترجمة « مقدمته » الشهيرة الى اللغة الإنكليزية .

وليشتركنا القاريه الكريم القصة التي أضفها علينا الدكتور شير بكتابه « التكو » المعاصر للمدينة العربية » نثبت بضم ما كتب الدكتور سمح مسعود أحد العاملين في القطاع الصناعي بالكويت عن هذه المسألة الفريضة :

« لقد ظل سابا حول حياته حتى يوم وفاته متأنقا لأوسع الذكاء خصبا العربية ، لا نعيم حيوته ولا يتغيره لحنه . كان متددا الوهاب ، فكان كاتباً وعالماً وفناناً ومعالها من قضايا امته . كان رفاً للشباب النضاليني التفتل الذي ولدت في حلقه العروف بعد التشر ، فلم تزوج في لوهه ، تركها لتبت في بياد الأرض العربية ، التي آمن بأنها أرضه ، وكانت حروفه صادقة نابعة من أعمال أحزان شعبه التي احتضنته في رحلة الحياة حتى النهاية .

والكتاب الذي نمن يصعد سابع كتاب يؤلفه سابا في حياته ويصو به مرور عام الى وفاته ، وهو جهد جهيد بذله في هذا الزمان ، الذي لم يقرق قلبه . في الكتاب لسات رالمة بل ومسات مبرقة تعطي صورة شاملة من المدينة العربية ، أنه سفر جامع يلف في نظرة شاملة كل ما يتعلق بالطور ، ويرسم سياسة هندسية اقتصادية اجتماعية علمية مدروسة في البلاد العربية من شأنها أن تنفع الاسس المكنية لسعادة الإنسان العربي .

والصورة التي يصورها سابا عن نفسه في هذا الكتاب صورة رجل لا تفرق يده أورافه ، يسجل عليها كل ما يفتلج في أعماقه . فهو الباحث الذي يدون ما يراه وما لا يراه أن يراه في بلاده بطريقة تتيج لنا أن نعرف ما يجب صنع ، وما طينا أن نزيله من الأشواق في دروب التطور . وقد استخدم سابا في كتابه يتوفا صافيا من اللغة العلمية الجديدة وميزانا دقيقا يحدد فيه معرفة أوضاع المدينة العربية في وقتنا المعاصر . ويصف الكتاب بجميع أوجه البحث فيه الى جانب العلم والتراث العربي الأصيل .

وقد حاول سابا أن يبين أن السير في المسالك الحضارية لا يتم الا بالطريقة العلمية ، وهي التي تقول لنا دوما كيف ينبغي أن تتعامل الأشياء بل كيف تتعامل فعل ، وهكذا نراه لا ينشر الأفكار في إطار من الحدث التاريخي أو النظريات الصلدة بل يشير الى الطريق ويحدد ما نحتاجه الدول العربية في رحلة التطور .

يلص كتاب « النمو المعاصر للمدينة العربية » ٨٥٠ صفحة ، وفيه ثمانية أجزاء ، يطلنا الجزء الأول منها بمساحات من الرسم والصور ، وتنف فيه على رسوم عدة برشته الزفاف تتسم بالطابع الفني الخاص ، وتجد في مجموعة هذه الصور الفوتوغرافية والرسوم - كما جاء في مجموعة ستريلكر في ثلاثيات هذا القرن - نوعا من التخصيص المزي عن المدينة العربية في الماضي والحديث ، تحدثنا خيرا مما يحددنا في جدول إرفاق ، فهذه الزلفة القديمة والمآذن العالية ، والأخرفة العربية الأصلية ، وأسوار البيوت وإبراج القصور ، والمراكب المنيية الحديثة كلها تعبر عن تركيب المدينة العربية المتشابك ما بين القديم والحديث

بما فيها من المفارقات المصيبة الناشئة عن الخلط بين التراث العربي وكل ما في هذا العصر من جديد . ومن هذه الصور والرسوم والقول الابيق الذي حولها ترى انه كان في خلد سابيا ان يقول : اليس تراثنا العربي الاصيل خيرا من الجديد والفن المعاصر المقلب ؟

وفي الجزء الثاني احد عشر فصلا يبحث في المدن العربية واساليب تكوينها من ناحية العمارة والمدينة والاقلية والظواهر التي مرت فيها حتى الان . ويصنف سابيا الاسماء تطليا في هذا الجزء من كتابه على القوى المماسة التي أدت الى الاطاحة التنظيحية في البلاد العربية ، ويحدد يقول في السياق ما معناه : « لم يكن الاندفاع الجبوني لبناء في العالم العربي ، وخاصة خلال القصة عشر عاما اقصره ، سوى طمس أو استئصال شاملة الآثار القديمة ذات الاصول السليمة ، العالمية للفن المعاصر العربي بكل تكوينه القصوي ودوحه العلية وزياؤه المرفوعة العلية ، وهكذا تصور الفن المعاصر العربي - وفي غلته منا - الى تلك الدرجة الخالية من الاصلة المتقولة في تصاميمها من الفير » .

ويرجع سابيا اسباب ذلك الى سقوط العرب فحصة تحت العوامل والمؤثرات التكنولوجية والانتقالية والتوسعية لكل الاطاحة والخرافات التي تنحرف في سلك انتظام السطحي وتطبيق الظاهر والافتكار التي تستر وراء ما يسمنه من العمار او لتقليم المدن العديدة .

ويستمر سابيا في نقده ويعطيه صورة آفة فحيرة من خلال تنقلاته في العالم العربي حيث نشاهد ما يقع للأقلية من الفن العربية الكبرى من عدم تماسك ، يدعو الى تحليل البنية العربية القديمة تحليلا علميا دقيقا من اجل ان نتج في طور التنظيم والتصميم القادم منها عربية جميلة تلام تراثنا ومؤثرات طبيعة بلادنا العديدة . وهكذا يعلن دعونه للمخالف على الطابع العربي الهندسي لانه يرى ان التقليد الاممي والتقلد الانكليزي سيؤذيان العرب ويغريهم في عظم بلاهم ومنهم والضعف ودعوة سابيا الى الطابع العربي الاصيل ليست دعوة لتركبة للعدية لانه مع التجديد الجني على الاسس العلية السليمة لا انكار التراث العربي ، وقد التفت المبتذل الذي لا اصاله فيه ، ويحدد سابيا ان غلبا من الناس قد اكوا يراهم ابن خلدون في تطهير المدن وتنظيها وفي العمارة وفي الهندسة وفروعها المفضلة . ويسرد لنا في كتابه بعض افكار هذا العالم العربي التي تنطبق على روح العصر الحالي الى حد ان الانسان يجب ويحدث لمخفي العلوم الاجتماعية الحديثة ان يتجهوا لها . ثم يحدد نجما ونداشا للمؤرخين الذين لم تنظم افكاره وآراءه في المدن بمثل ما ظلتهم افكاره وآراءه من حرب الزمل والصح ، ويقدم لنا سابيا في كتابه مقتطفات من مقدمة ابن خلدون التي تحدث فيها عن البناء وتطهير التثاقل وابعاد الاشياء الضارة من المدن واعتبار الظواهر الجوية وغيرها من العوامل الهامة للاختيار المواقف السكنية ، ومن افكار الهندسية غير المألوفة لمسببيا والتي اخذ العرب على فانهم بنائها ، ومن ريد الاسس الاقتصادية مع الحجم المعبري حيث تباين بولوع تلك التكتيلات الهائلة مثل لندن وطوكيو وبرلين وبغداد وغيرها . كذلك نجد ان ابن خلدون قد رأى ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق اتما هو خلدون بان افكاره وملاحظاته التي دونها في مقعته منذ قرون بضعة معشلة لا تزال تطبق حتى يومنا وبالدقات في ملأنا العربي . ويحدد يقول سابيا مرة اخرى « من المضحك ان نتنكر للاسلوب العربي القديم في فن العمار ونمحو الشخصية العربية ، عندما كنا الة في هذا الكسار » .

وفي الجزء الثالث من الكتاب عرض لممارسات مفارقة تنطبق بتجسيم وتطهير المدن والاقلية في المدن والكويست وبغداد ولبيا وفلسطين والسعودية وتونس . ويلاحظ في هذا الجزء تقديم المؤلف لبعض الدراسات الاستشارية والقرارات والقرارات التي وضعها او شارك

في وضعها لتنظيم المدن في البلاد العربية ، ومنه نستخلص بسهولة ان هناك امورا كثيرة يمكن فتحها او تطويرها في البلاد العربية كماله السير التي يسترها سابيا موزلة في بعض المدن ، وكذلك التسيوار الصبة والنقص الفاضح في المتزجات والحدائق والاملاب الصامة ، واتعدام النظام في التسيوار ، والصبة التي تسود الاحياء السكنية وغيرها من التثاقل الاخرى التي يسببها بعض سابيا اجراس الطمر من اجل انتقاء المدينة العربية من مستقبل مظلم وضئير ، ولا يرى الا بالتعطيل الطعفي وسيلة تيسر سبل الامام النظام ، ويعتقد لجازم بان اتباع هذا التخطيط سيؤدي الى النقص الاجتماعي والاقتصادي للمدينة العربية ، ولهذا يتناول بالجزء الرابع بحث النظريات المتعلقة بتنظيم وسطيط المدن وامكان تطيها في البلاد العربية لتخلق بيئة عملية وبهيجة لساكن الاقلية التي تزداد سنويا في البلاد العربية . وهكذا يربط بدقة والتقاء ما بين المدينة والتشاكل الديموغرافية التي يهيم في اغلب المدن العربية . ولهذا لا يتربد في الجزء الخامس ان يقدم بعض الابحاث التي نشرها في فترات مختلفة من حياته حول هذه الموضوعات التي تعرض السكان ومشاكلهم في المدن والبلاد كلها . وفي هذا المجال يقول : « ... ان المدينة في الاساس ينبغي ان تكون الكيان المناسب لاجتماع التكتلات الانسانية ، فلا كان كيان المدينة العام ومنهوها موجهين بحيث يعطى على تعزيز شتى النشاط المتجمع الانساني والنمو بها وتنظيمها ، فتعبر تلك المدينة اذا ذاك محفلة للفرضها ! » .

ويتم الجزء السادس من الكتاب يبحث وتحليل نقدي للفلسفة النكروية المدني في البلاد العربية ، وفي بغل المؤلف من تقديم الاقتراحات التي يراها في هذا الشأن من اجل الارتقاء بالهندسة المعاصرة العربية الى اعلى المستويات التي تليق بتاريخها وتراثنا لتخلق بيئة حضارية وشمسية جذرية بذلك والتاريخ والتراث من اجل ايقاف الانحراف الهندسي المعاصر الفاضح الذي ينادي بشوه مناظر المدن العربية .

وفي الجزء السابع اسئلة متعددة يعرضها المؤلف ويبحث فيها بنفسه ، منها الى اين يسير التخطيط الهندسي في البلاد العربية ؟ وما مستقبل المدن العربية عام ٢٠٠٠ ؟ وعنه نعلم ان التخطيط الهندسي حديث النشأة في البلاد العربية وان الكتب التي تحدث عنه في بلادنا ما زالت نادرة وان شحرا كبيرا من نظريته فيها ما زال في طور التفتير . وعندما يتحدث من المستقبل يدعو الى العمل بعقلية الباحث ، وان نركز دواستنا في خلق المستقبل على البحث والاخراج اثر مصا تركوها في الطول العلية والافتكار الجمدة وتصاميم التطوير المستوردة . ولم يغفل سابيا في الجزء الثامن من كتابه ان يتحدث بافكاره الضمانية من فلسفة التنمية العربية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية . ولذا بنا نستنتج في نهاية المطاف ان الهندسة في كتابه ليس سوى حجر الفقة في هرم التشاكل والموضوعات التي ادركها ، فهو يبحث في كل شيء ولا يقول الا بالحكمة والصواب . وفي نهاية الكتاب ما يزيد على ٦٠ نكتا له ولغيره من رجال الهندسة وعلم الاجتماع وتنظيم المدن ، توفر للقارئ مصادر لمختلف النظريات والاشتراكات التي عمت هذه العلوم في العصر الحديث .

ويجوز لي ان اؤكد في هذا المقام ان هذا الكتاب الجامع خسير ما ظهر في البلاد العربية حتى الان في النطاق من التراث العربي . والحق انه ليس من كاتب يمكنه ان يوفق في مثل هذه الموضوعات كم يعالجها كما يعالجها سابيا بأسلوبه الفريد وخلفه فلة وبرامته . وهذا ما يجعلني اكره ما قلته في اليمد : ان سابيا يستحق التقدير ولستحق الاعتراف من حروفه التي لم تشر بعد ان ترى الثور ، على أمل ان نشر وان يظلم صاحبها بعد الموت » .

نودج من نشر : ظل الدكتور شير مجيبا باين خلدون ولقدبراً منه لهذا الصلابة العربي اقدم على ترجمة « مقعته » الى الانكليزية

وكتب عنه الفصول المطولة ، ولقد أعجب الكثيرون بما كتبه عن هذا الفيلسوف العربي وكيف أبرزه كمرجع مهم بين أصحاب النظريات في فضاء العمران والتنظيم وفي العلوم الاجتماعية والصحة العامة ، وودونك بعض ما كتبه عن هذا الصالح العربي :

« منذ أن كان الإنسان ، كان التطور ، لأن الإنسان في جوهره حركة مستمرة ومبدع لا ينفذ منه حد . فمن العصر الحجري إلى يومنا هذا نرى أن الإنسان في تطور مستمر وأن من لا يسير في طرق التطور ينفذ شيئا من أساليبه التي تزيده من أن يعيش من صوره .

وإبداع الإنسان لم ينفذ عنه أشياء معينة ولم يقتصر على ضروريات الحياة التي أوجدها الإقبال المسابقة ، ولكن إبداعه تمدد الضروريات إلى الكفايات التي أصبحت تتطور في أيضا حتى أصبحت من الضروريات وفي مقدمتها إقامة منزل السكن ضمن هيكل الكيفية على أسس حديثة . فلإنسان الجديد لا يتقبل أن يقصر في مضمار تنظيم السكن ، التنظيم الذي ظهر آثاره في تاريخ المدينة منذ القديم : منذ الإمبراطورية المينسية إلى مصر فرعون إلى الدولة البابلية إلى عهد اثنين الأثر إلى طلبة روما القديمة إلى منجزات العرب الجميلة .

هذا الإنسان الطموح ، المتطلع دائما إلى فوق ، مضى اليوم أكثر من أي يوم مضى ، الاعتماد بالتخطيط السكاني العلمي نظرا لتطور الحياة تطورا سريعا ، أن في التواحي الاجتماعية أو الاقتصادية أو الصحية التي ، أن لم تنهض الإنسان معالجتها بعقله ويده في كل بقعة من بقاع الأرض ، لنهد تطور الحياة وتقدمها وفلقدت الإنسانية في جزء منها صفاتها الأصيلة .

والتخطيط السكاني العلمي أو كما اصطلح العلماء على تسميته « بالتخطيط السكاني العلمي » أي يشمل جميع التنظيمات السكانية ، يتطلب دراسات كثيرة منها إحصائية ومنها اجتماعية ومنها صحية ومنها اقتصادية عامة ومن لم يهتمسية فنية ... ومثل هذه الدراسات تتطلب مجهودات كبيرة لا يمكن أن يقوم بها الفرد الواحد ، إنما يقتضي لتكميل بها إنشاء أجهزة كاملة من الاختصاصيين يتعاونون على القيام بوضع مشاريع التنظيم ودراس نواحي الحياة وتطورها ، أخذين بين الأبعاد جميع المسائل التي لها علاقة وثيقة بالحياة . على أن يكون وضع هذه المشاريع مستندا إلى اللغة الثابتة التي توافق الحاضر وتكون قابلة للتحويل والتعديل إذا اقتضى التطور نفسه ذلك بصورة مطبوعة أو مفاجئة ، فنلوم مفاجئة لأن هذا القرن امتاز بالمفاجآت العلمية التي أصبح لها تأثير كبير على مستوى الحياة البشرية .

فلذا أخذنا مثلا تطور الحياة السريع في العشر سنوات الماضية في الكوئيت نسبة لتطورها في العشر سنوات اقلية يتوجب علينا والعالم على باب الاستغاثات لئلا ذات تأثير كبير على طرق الحياة البشرية ، أن توضع مفاهيم تنقسي تصميمها ليعمل قابلا للتصديق سنة بعد سنة . فمن هنا وجب القول أن على واضع مشروع ما للتخطيط السكاني أن يكون من اصحاب الحس الفني والحس المستوحى من مبادئ التنشيطية هدها أسعاد الإنسان ورفع مستواه في الضوابط الاجتماعية والتنشيطية والروحية والثرائية .

ووجب أن يكون واضع التنظيم واسع الاطلاع على شؤون البلاد التي ينظمها ، أن يكون ملما بفلسفة أهلها ، علما باقتصادات ومصادر وتغير سكانها ، عليه أن يكون ، بكلفة واحدة ، واحدة من أبناء تلك البلاد ، وأن يتيسر له الفهم الذي يساعده على معرفة كل ما يتطلبه مثل هذا العمل الكبير . فمشاريع التنظيم لا يمكن أن يقوم بها رجل فرد ولا يمكن لإنسان ما ، مهما كان متولد اللحن ذكيا مطلقا ، أن يقيم لكنا كليا بجميع نواحي العلوم التي تتطلب توفرها ومن وضع مشروعات الإسكان والتنظيم . وقد نشرنا إحدى الجامعات العالية أن الشخص الذي يريد أن يتخصص في قضايا السكن والتنظيم ، ولزم بمختلف نواحيها لكنا نأما يجب أن يقتضي شترين عامين على الأقل في

الجامعات . ليس كل هذا بقرينة لذا طمنا ، بالإضافة إلى ما سبق ، أن كل تنظيم يجب أن يشمل أيضا درس امكانيات تصنيع قسم من البلاد وإبقاء قسم آخر بعد الزلزلة كما يجب أن يدرس تاريخ البلاد مدينة مدينة ، قرية قرية ، عائلة عائلة ، لحرفة الصناعات التي تكون المنطقة . هكذا يجب أن يتم التنظيم : بالتعلم والفن والبحث والفلسفة والحكمة والوقت الكافي والجميع اللازم ليتوفر في يدي الأثر على الفاعلين على العمل التنظيمي جميع الإمكانيات كي يتفكر في كل شيء بالأسس الأساسية والحيوية والواقعية . يجب أن نعمل بعقلية المحارب الباحث ، ويجب أن نركز دراستنا على الحس والاختراع أكثر مما نركز على أن نتمتع على الحلول الملهية والأفكار المبهمة والتصاميم المستوردة .

لذلك يتوجب التفكير بدرس تنظيمي شامل لكل بلد عربي . فالبلاد العربية جميلة بمتنقلها ، فريدة بميزاتها ، كبيرة بإمكاناتها ، ومحتاجة إلى تنظيم سكاني سريع وشامل ، يكفل بقاء جماعاتها وتنظيم حياتها على أسس حديثة ، مستفيدين من تجارب البلاد العربية التي سبقتها في هذا المسار لتجمل من معنا مثل المدينة الحديثة المحتوية جميع أسباب الحياة والاقتصاد ومن بلادنا آية الفن والجمال والراحة ومن ريفنا مورد الانتاج والحياة الزراعية .

وركيزة كل هذا السكن - الوحدة السكنية في حد ذاتها ، والوحدة السكنية متكررة على وجه البسيطة . فمنها نتج المدينة وفي المدينة البنية ومن البنية تنبثق المدينة والفنية هي مقياس الرقي والتضاراة والنظام ! !

٢ - محمد حسن علاء الدين

أطلق « أمين » كلمة فاض بها عليه الأسامي ، فهاج بها « محمد حسن » هاج الإنسان بربه ، وانطلقا نبراسا هي : « ليس في هذا الوجود من نحني له الرأس أجلا من حب ولقد ير الأسا صناع السواد للإنسانية ! »

وله « محمد حسن » في مدينة الإسكندرية القصيدة عام ١٩١٧ لوجود والده قاضيا شرعيا هناك ، وما ليك أن تقل أبوه قاضيا لمدينة طبريا فلسطين فدخل « محمد حسن » مدرستها الابتدائية وناشر يادب وشخصية استأذنه خالد غوري ، وبعد حين التحق ب « روضة المعارف » مؤسسها الخرحم الشيخ محمد الصالح وأنهى فيها الدراسة الابتدائية (١٩١٧ - ١٩٢٠) وفسد « كلية النجاح الوطنية » بنابلس وأتمى فيها سنة واثنى عشر بالجامعة الأميركية في بيروت ودرس فيها سنة واحدة (١٩٢٥ - ١٩٢٦) .

في مدينة طبريا ذات الفتنة والجمال بدت أولى زفافاته الشعرية ، وفي سن ياركة يرى فلة طفعا ، وبعد أن شب من الطوق جعشه الأدار في بيت القدس بالشاعر الفلسطيني الشاب مطلق عبدالحق ، فامتزجا روحا وميولا . وبعد انتقاله من « روضة المعارف » إلى « كلية النجاح الوطنية » شارك في الحركة القومية عن طريق جمعية أسست في نابلس تعمل ل « جمعية الاتحاد العربي » وكان عضواها يقتصدون اجتماعاتهم في بيوتهم خفية الصمت والأرصاد . وبعدما توفى الخرحم سعد زغلول في عام ١٩٢٧ ولأه « محمد حسن » بقصيدة مؤثرة كسا وضع تشيدا لآثره الطلبة العرب الفلسطيني من قوله :

يسا هلال البحر يسمو سمى من غادروا الدنيا وهم أسرى الحزن كسي يشودون عن حسانهم والوطن شرع في نشر ثقافته الشعبية وتعليلاته السياسية على الحركة الوطنية في الصحف الفلسطينية وخص بها « صوت الحق »

و « الإقدام » و « الصراط المستقيم » الياقيات وكان للمناضل الجريء حمدي الحسيني (من أسرة الحسينية الأثرية) يد في تشجيع انتاجه العسكري ...

وليسقيم أسلوبه ويستفصل شعره الأبل على الطائفة في دواوين الشعر وكتب الأدب والبلاغة ، ولذا تفكيره يتفاعل مع انتاج القريسي ، فاطمان إلى ادب كل من هـ. جـ. واقي واسكندر بوشكين وليو تولستوي وفكتور هوفو وفوتيرز وبودنير والفريد دي موسيه ، كما آاب على مطالعة الفصول التي كانت نتيجة افلام خليل السكاكيني وشكيبه ارسلان وسلامه موسى وهـ حسين ومحمد حسين هيكل ، وماال بكيتيه إلى ما كان يفتيه النافذ الساخر إبراهيم عبد القادر المازني وعملال الآاب عباس محمود العقاد ، وواصل مطالعة اصمصاد « السياسة الاسبوعية » .

وفي تلك السن شن حملة على المؤسسات التبشيرية في الشرق الأدنى وكشف من غاياتها واهدافها ، ونشر ثلاث مقالات في « الصراط المستقيم » الياقية حلل فيها الهام الاستعمارية التي اعطمت بها تلك المؤسسات الاجنبية .

وربعت بين الشاعر ملاه الدين والشاعر اوفيق اليقويبى الكتي ب « أبي العباس » اوسر من المؤدة ، ولطارحا القضايا في وصف الطبيعة الساحرة في رباب اللواء الجنوبي .

وقصد شاعرنا مصر وسفر فيها روحا من الزمن لم عاد إلى حيفا ووصل حيله بجعل سنوه الشاعر مطلق عبد الطالق .

وشد إلى حال إلى دمشق ، ثم عاد إلى فلسطين واسهم في تأسيس الفرق الكشفية وسفارية الاستعمار ولفني بجبال الطبيعة في «الكرمل» عروس التسحال .

ونادنه جبال لبنان ليماوي نغوييه ويلسج جراحه بقصد فالحايه مصطفا كما زار لبنان الشماي وعاش مغفونا بسجري وجعائه ، والقي في جميعه « العزوة الوالي » في الجامعة الاميكية ببيروت قصيدة ناجي فيها لهر (التبل) واخرى ناجي فيها (الشهاد) وثالثة بعنوان (مجد الفلود) متفنيا بطولات الثوار العرب في فلسطين .

وبعد دودته إلى فلسطين نشر الطبايعاته وناطلانه في صحيفته « المصالح » الياقية كما نشر قصيدته بعنوان « وفلة على سفاب الاردن » وقد اعاب فيها بالثشور القومي لقائمة الاستبداد وقصيدة بعنوان « عبر الحرية » وفيها ناجي الحرية بمعناها المطلق .

وخلال سنياه الناصج زارت يافا ام كشوم لتفني على مسرح « هجرة أبي شاكوش » هاللي محمد حسن ابيات طربت لها كردان الشرق ونشرتها جريدة « فلسطين » بالاطراء والتتادير .

وبعد انتهاء الاضراب الفلسطيني الشهير عام ١٩٣٧ فادر فلسطين إلى اورديا وامسى ١٨ شهرا بين ياريسي ولور ناشدا الحرية في مقابها الشعبية وطعامه الثاني في مطاعمه ونظم شعرا بعنوان « حرب الجبال » و « الصبوع » ١ .

وعاد إلى فلسطين وشاركة الثوار العرب في هربهم مع التكتليز واليهود ، واودع سجين فوركوم ، وبعد الافراج منه قل في قصصاه بني صعب عابن ونسج عام لم قصد حيفا واسهم في تحرير مجلته « المسير » المؤسسة منير حداد ، ومن شعره التثشور فيها « فجر الحرية » و « القللب الخاف » ومن ثره فيها بحث مسجل من مشاهير اللوسيتيين العرب ، قدم فيه صورا تعطيكية لتضحياتهم كصا ورد وصفها في كتاب « الافاني » .

ومن معرباته من الفرنسية قصيدة « لوسي » للشاعر الفرنسي الفردي دي موسيه ومثلها :
« يا اسعدفاني :
منذا اموت ... لذرعا صمصافة في القبرة التي خالها فيها ،
لاتني اهورى ورفها الاخرى ٢ .

وان ظها سيكون خفيف التوطلة على قري ١ » .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية قصد يافا وانفس إلى قسم تحرير « الصراط المستقيم » ونشر على صفحاتها الكثير من شعره ، وظهر بحث بقلمه في مجلة « التتاف » حول كتاب « كنت سيجينا من سجناء الحرب » وبحث اخر حول انتاج الكتاب الانكليزي هـ. جـ. ويلز في كتابه « سعي وراه آياه العارة » وبحث عن نتاج توماس هاردني في كتابه « رجوع الوافن » ونشر في صحيفته « الاقدام » الياقية من شعره « غادة البتليج » و « حسي ١ » و « لا تنيبوا من يوني » .

وفي افسطرابات عام ١٩٤٧ ، أي بعد صدور قرار التقسيم ، خرج الشاعر إلى رام الله ونشر قصيدة « المناضل » في صحيفه « النسر » الاردنية ونزع إلى عمان ودخل الجيش العربي الاردني وخدم في الزفراء وراح ينشر شعره في جريدة « الاردن » واخرى سرجه للمسؤولون من الجيش من الخدمة وعاش في بعض فنادق عمان في عز وفلة وفصل مصصحها في جريدة « الاردن » وقابل تعليم العمال ووقالي الشركات والطلاب ، ونتيجة لوشاية دخل سجن عمان المركزي وحكم عليه بالامانة الجبرية في مدينة القدس ونشر بعض منظومه في مجلة « المهسد » البتليجسية .

وخلال وجوده بين فلسطين السجون المركزي في عمان صدرت دراسة ادبية عنه بعنوان « شاعر الفلسطين » بقلم ابراهيم عبد الستار .

وطلى اثر الحوادث الفنية التي جرت في لبنان عام ١٩٥٨ انصقلت به تهمة فحوم امام محكمة عسكرية وحكم بالسجن ثلاثة اشوام ، فاب على الثوران الكريم وتفسيره .

وبعد ان تم مدة الحكم فرغت عليه الالامة الجبرية بالقدس لمدة عام ، وما لبث ان عاد إلى عمان ونشر بعض قصائده في صحيفته « عمان لصاد » ونشر بحثا في فلسفة القرآن الكريم بعنوان « التتاف القرآنية » في مجلة « الاقوال الجديد » الفنية .

من آثاره النظمية : من الالام النظمية الطوية التي ولفنا عليها :

- ١ - القصيدة البشيرة امرؤ القيس بن حجر - ١٩٤٥ .
 - ٢ - نعيه اليلاد (شعر) ١٩٦١ .
 - ٣ - شعرا الوجود العربية - ١٩٦٢ .
 - ٤ - النبوة والوصية .
 - ٥ - شعرا فلسطين العربية .
 - ٦ - بعتن الحب .
 - ٧ - من وهي مسائل ١٩٦٧ (نقلا ونثرا) ١٩٦٧ .
 - ٨ - ارادة وفجر - (مجموعة شعرية) ١٩٦٨ .
- منلوج من نشر : « اجوام النبوة : اجوام القومية ! وهل ماش (الشرق) ايام عاش ، الا من ذلك الشيوعيين ؟ وهل دوى (الشرق) ايام دوى ، الا في اوداه وجبال ذبلك الحظلين ؟ ويتساءل المساكولون : « واين الاضطباب بينهما ؟ هل برهن الزمن على تسجاسهما عما ؟ ام آها رطانة برفاة ؟ ترديونها لتتنبهوا بالاسم الاخرى ؟ » .

واحيب : « وهل البداة العربية الا البرهان الدامع على نقسايك القومية ؟ وعلى اصنافها في الرحاب وفي الدم وفي اللسان ؟ وما البلاح ؟ وما الرمال ؟ وما (نلود) ؟ وما (نيد) ؟ وما (سنيانه) ؟ وما (الكرمل) ؟ وما (عيبال) ؟ وما (البشيرة) ؟ وما العاصي ؟ وما (وهران) ؟ هل في الا واحات النبوة اللوجية ؟ وهل في الا سمار البداة ولبولها وشلاها ؟ .

وليس صيلا وتفسر عينيي احبب الي من لبس الشلود !
البسالة والمعق معا روح البداة ، وهما معا منطلق النبوة !
والقومية نعمة النبوة والبداة ، نعمة البسالة والمعق ، واطيب بها من نعمة ، واطيب بنوالها من نوا ١
البداة خلقت لنا (خولة) و (سمبا) و (اسبق) و (وحيمة) !

الربيع غمول الشتاء

الى الصغيرين العليدين نسيم وفلافيو من وحي الزيادة كانون الثاني
وشباط ١٩٧٠ از جاداء من البرازيل ثم عادا اليها .

★

كحلم تقضى كطيف عبر	تمر الليالي وتطو الذكر
تمر الثواني بلون الاماني	نشاوى سرور هتاي سمر
وعمر السرور كعمر الورود	غني الصاني كسير القصر
فصيت ريبعا خلال شتاء	فصاد خريف ينفسي الزهر
اداعب ذاتي بشخص سمي	واحياء بوهمي زمانا غير
ويحكى فلافو بصوت جميل	كشدو الكنار وهمس التوتير
فيهننا قلبي وتنعسم عيني	واحسب اني بفجر العمر
جيب الي انحاء الستين	ترعى هفياء يوحى الصفر
وتضمو فراشا يرف عليه	تمثل الجفون تصون النظر
فقرب الصغار نعيم صغير	يطيب الوجود ويقضي الفجر
فيئسي الكبار هموم الحيناء	ويطو الصفاء فيوم الكدر
وطار السمي وطار اخوه	بميذا بعيدا بئيا السفر
فطار هتائي وفص رجائي	وراقت ليال وجات اخر
فصاد انتقاري يهز فراري	فبت كئيبا اسير القيد
اكفك دمعني واطوي جناحي	وارقب فجرا جديدا افر
	نسيم نصر

اجرت لها ، عندي العروبة ومولدا
فمادت بها الاواء شرقا ومغربا
وعادى بنوها العدل دريا وسدة
بكي العدل بدت الخفاق جويشه
ترامت دمي الطافوت، نهوي يداقي
حقولا عليها قام مجيد مؤنسل
لما ما غراب الاسم عاك بوحدة
عمان - الاردن

اجرت لها ، عندي العروبة ومولدا
فمادت بها الاواء شرقا ومغربا
وعادى بنوها العدل دريا وسدة
بكي العدل بدت الخفاق جويشه
ترامت دمي الطافوت، نهوي يداقي
حقولا عليها قام مجيد مؤنسل
لما ما غراب الاسم عاك بوحدة
عمان - الاردن

ولقة من الارض متجاسكة ، ذاك هو الوطن العربي ، من بحر
الظلمات الى سواحل الخليج ! وسل التاريخ يثبتك انها ارض العرب .
نموذج من شعريه
هجرن الاذي ، واستفت ندا الحية
تركت الحمى ، وارتدت ريبعا متاديا
صرمت ملاذ اللطم في «مكة» التي
سلاما ، نبي الله ! من قلب اربع
اردت لها التوحيد وكنا موحدا
ولقاوت اشراك الكنى والفضلة
به راية نصت وهتفت لفتوة
يرصمها الزكيان في كل حجة
تتاجيك في عيد ، لانتحات امة
فمادت ، وحادات ، لم حامت وفلت
فمادت ، وحادات ، لم حامت وفلت

الطفولة

٥٢ .. ليت الجيران يميرونا .. خلا

واطيهم ان حطموا
العابهم عقوا وقصدا
واطيهم ان زينوا
ارجاءنا فوضى وضوضا

انا ليؤلنا من الامس القريب
انا اتنهزناهم لنسكت
ضحكة الطفل الحبيب
ضحكاتهم رمز السعادة والطهارة والهناء
ضحكاتهم احلى الهنايا لارسلات من السما

كبروا وامسى المنزل الغالي
نظاما في نظام
كالساعة الكبرى العتيقة
فوق حائطنا تتكنا بانتظام
حظهم ابيدي الزمان لغير دنيانا الرتيبة
ومعقوا خفافا في اهابهم
مضى عزم الشبيبة

ابقوا لنا ملل الكهولة والسام
ورسومهم ترنو بصمت واتسام
وعيوننا ترنو الى باب العديقه
اذاننا تصفي لوقع خطى عتيقه
ساعي البريد .. اتراه يعمل منهم
خبيرا .. رساله .. ؟
كل الاماني بين اسطرها الرقيقه

كبر الصفار واتما اين الطفولة اينها
في حضنتنا عبق وزهر يا دعي ايامها
طارت سراعا كالخيال كانها حلم يمر
اترى هنالك من يعيد لنا
من الاحلام ظللا .. ؟
اترى هنالك من يعير
المنزل الشتاق .. ظللا .. ؟

اسمى طوي

الرواية - لبنان

لولا اذاهير الربيع
لاقفرنا دنيا الربيع
ومشى الصقيع بارضنا
ما نفهنا دنيا صقيع
ساد السكون المنزل الغالي
على الحطب العتيق
كبر الصفار .. فلا صراخ
ولا شجار .. ولا زعيق
لكنما يا طيبهم يتخاصمون ويلعقة يتصالحون
لا يغفرون لانهم لم يحقدوا
وهل لللائك يحضنون .. ؟

ساد السكون المنزل الهادي فلا وضوضا مشيره
العابهم رفعت والفلت الخرائات الصغيره
بالامس كانت ها هنا وهنالك انواع كثيره
ودمي محطه .. وتبسم
للطفولة بافتخار
بالامس يا فوضى الصفار
نعمنا طول النهار

حتى اذا ناموا ورائت بسمة الطهر النضيره
وبدوا ملائك في الاسرة
بعد ان كانوا شياطين كبار
رحنا نقبلهم ونجثو
ضارعين ليكسبروا

كبروا فما في بيتنا
فوضى ويضئنا التعب
لكنما القنديل شح ضيؤه وخبا اللمع
الكرمة الخضراء تنقصها عنايقد العنب
جفت مياه الجدول الصافي فما عادت تفني
لم يبق بعد جفاف جودنا
سوى الجري فحسب

كبر الصفار واتما
يا ليت ذاك الامس ردا
واشوقنا ان يملوا ايامنا تعبنا وكنا

— كيف حالكم أيها الحرافيش ؟
وهكذا كنا نسعي انفسنا ، والله
اعلم وربما شخص آخر غيرنا يعلم
ما الذي تعنيه كلمة « حرافيش » .
باغتني مدحت وخطف مسيجارة ،
وتوقع الجميع ان انور عليه ، وربما
اسب الفئات على اخلاقهم جميعا .
لكن شيئا من هذا لم يحدث ، مما
جعلهم يدهشون من هذا الاستسلام
.. فتسائل فهمي :

— ما الذي دهلك ؟! . اخلفت لك
جيهان موعدا ؟

تمتت :

— جيهان ! ..

ثم ما لبثت ان ارسلت فقهة
عالية ، واجاب امين :

— لقد هجرها أيام الامتحانات ،
ولكن يتوجب عليه ان يحدثنا عن
علاقته بها في هذه الأيام .

فصرخت ليهب :

— يا ملاين .. اريد ان انبل هذه
الحياة ، واحجر الاستهتار .. يعني
اريد ان اتعلم .

كانت الكلمات غريبة على
سامعهم . وكان من الصعب عليهم
فهمها على الفور ، لا سيما انها
صادرة مني . وقلب مدحت فني
الكلمات ، وتجهت سحنته مثل
حالته حين نورته في لغز مبهم ، ثم
ما لبث ان تحرر من تجهه ، وصاح
كأنه اكتشف كنزا :

— اتفرون ؟ .. انه يهدد لقصة
حب جديدة .. فتاة جديدة تناسب
حن الصيف ! ..

وما ان سمعوا هذا التكن حتى
راحوا يتضاربون الاحاديث
والتحقيقات ، ولم يشأ أحد ان يسألني
من صحة هذا الزعم ، فلم يكن غريبا
ان ابحت لي من فتاة جديدة ، لكن
القريب هو ان اقول لهم مثل هذه
الكلمات العاقلة ، كما أسماها فهمي .

تركم بلوكون حسيما تشاء لهم
الاهواء والخيالات ، وأكثر الصمت ،
محاو لا خلاله ان استعيد صورتها في

تعرفت على أماني عن طريق
أختي . زارتنا ذات مساء .. ردت
على تحيتي بأدب مبالغ فيه ، مضانا
اليه الخجل الذي تتصف به . لكن
عينها شدتاني اليها ، فقد أحسنت
انها شاطئا امان من الممكن ان
تحتضنا آمالي واحلامي وترعاهما .
وبإيجاز شديد ، وجدت في أماني
كل ما اطلبه في النصف الآخر ..
مينها سوداوان ، وشعرها أسود
فاحم ، ووجنتها في لون القشدة
المخفوقة في عصير الفراولة ،
وشفتاها مثل جتي الكرز . ملامها
جميلة جذابة . لكن شيئا حزينا
يظف هذه الملامح ، ولا ادري منشأه .
وربما تكون مسحة الحزن التي
تظوف كالقيم على ملامها ، هي

حياة جديدة

بقلم حسني سيد لبيب

التي جلبتني اليها .

التقيت بالشلة بعد انتهاء
الامتحان بأسبوع ، وكان كل منا
يختزن في خاطره احاديث شتى يود
ان يروح بها ، لكن رغبتنا في ان
نقول الكثير جعلتنا نلوذ بالصمت ،
ثم تحطكت منه على الفور بعدد يست
تافه من الامتحانات والمزالي التي
تردينا فيها .

نقمت بالحديث فأخرجت علبه
الدخان وأنا اقول في لهجة تتسم
بالجد والتزمّت :

نصت

كثيرا ما نصحت نفسي بالتعقل
وتغيير هذا السلوك المنحرف . لكنني
لم اكن املك من امر هذا التصحيح
شيئا . لا سيما وان الجامعة تلفظنا
لفظ النواة طيلة اشهر الصيف ، فلا
نملك الا الضياع في شوارع القاهرة ،
نقتتل وقت الفراغ بالجلوس على
الحقوى او الذهاب الى السينما ،
لكننا دائما نكون فريسة للفراغ .
وكم من مرة منيت نفسي بتغيير
سلوكنا — أنا والشلة — او سلوكي
أنا على الأقل ، لكن شيئا من هذا لم
يحدث .

في هذه الأيام حدث شيء ذو
بال ، فقد تعرفت على فتاة جلبتني
بصمتها وهدوتها . كنت قد انتهيت
من امتحاناتي . اندهشت حين قالت
لي أختي أنها سكنت حديثا بجوارنا ،
دهشت لاني عرفت ذلك متأخرا ،
وربما للامتحانات وتوقعي في غرفتني
يد في هذا ، فان أقسى أيامي هي
لك التي اكون فيها على شفا حفرة .
كنت افكر في وسيلة ما اتقرب بها
اليها ، وهل يصبر على شيء ؟! .
أنا الذي شهد لي الملاين بانني أقدر
من في الشلة ، فكان هذا يزيدني
مناظما وكبرا .. لكنني عجزت عن
التقرب اليها ، فالفاتة محافظة الى
درجة كبيرة ، أو هكذا خيل الي ..
وتتمتع بهذو بالغ ، وربما تتسم
بالخجل أيضا . وهي على عكس من
أعرفهم من فتيات تتمتعن بالجسارة
والشقاوة ، وهذا ما جلبني اليها .
فقد مللت هذا النوع الصارخ ،
وأصبحت اطلب شيئا جديدا ، وربما
يعمل على تغيير هذا السلوك الذي
تصر أختي وتوافتها أمي على تسميته
بالنحرف الشباب .. إما أبي فكان
يلوي شفته السفلى ولا يزيد على
قوله « طيش شباب » شيئا ، واجده
يزهو بي ، وكثيرا ما قال لي « أنت
صورة من شبابي » .

أحسنت ان هذه الفتاة ستضع
حدا فاصلا بين حياة اللهو والمجون
وحياة الجد والأتزان .

مخيلتي ، وافكر في هؤلاء المساكين
.. لا شك انهم سيذهبون حين
يعرفون انني عاجز عن التقرب اليها
.. ولا شك انهم سيذهبون حين
يعرفون انها فتاة هادئة خجول .

ذات مساء ... تم آخر لقاء
بيننا ، في شارع مهجور لا يسير
فيه المرء الا للضرورة ، ولم اعجب
لاختيارها هذا الشارع ، لما اعرفه من
طبايعها ومزاجها . قلت لنفسي :
حانت الفرصة . واخذت اتدبر الامر
سرعا .. اقتربت منها والبيت
نتيجة :

— مساء الخير يا اماني .

حدثت في مرتبة ، نظرت الى
وجهي متفحصة ، ثم ردت التحية ،
وهي مترددة ..

— الا تعرفيني ؟

قاومت براسها قائلة :

— اجل اعرفك .. الست شقيق
سعاد ؟

— بلى .. انا شقيقتها .

وابتمست ابتسامة مشرقة ، كان
لها فعل السحر في نفسي . قلت
لها :

— انا سعيد بهذا اللقاء ، فهل
يا ترى انت مثلي ؟

صمتت ، وارتابت دموعا تأللق
في عينيها ، لمجبت لامرها ، وظننت
ان الوم هو الذي جسم لي الدموع ،
وربما يرجع هذا الى الحزن الذي
اتخيله يطوف كالظيم على ملامحها
المتناسقة . ولكن دافعا ما جعلني
اسأل :

— اتبينين ؟

اجابت :

— ليست دموع حزن .. فان
عيني لدمعان كثيرة .

— حتى دموعك .. جميلة .

قلت العبارة ، وانا اغني كل حرف
نظقت به ، لاحظت القلق باديا على
ملامحها .. توترت صرقاتها ..

— يبدو اني ضايقتك .

— انا سعيدة بك .. انت اول

انسان يجاملني .

— ليست مجاملة ، انها جزء من
الحقيقة الماثلة امامي . صمتت قليلا
ثم قالت :

— لقد اقترينا من البيت .

— متى اراك ؟

قالت بلهجة سريعة :

— كما تحب .

— غدا نلتقي ؟

— ليكون بعد غد .

وتصافحنا ثم تقلمتني مسرعة
نحو البيت ، فلاحظت مرجا خفيفا
في ساقها اليمنى لا يكاد المرء يلاحظه
الا اذا دقق النظر ، شيء واحد
اغاظني ، انه الجيوب القائم الذي
يغطي ساقها حتى حدود « التايير »
الضيق . كانت كلماتها غير مشجعة ،
لكنها لم تقفني الا امل في ان تتطور
علاقتي بها .

وفي البيت ، تيمت وحيدا في
غرفتي .. ادوت المدياح باحثا عن
اغنية تروي جوصي العاطفي ..
اكتنانيش لمصطفى جمال . نورالودني
فكرت كتابة بعض الاحاسيس التي
تكتنفي ، لكني سرعان ما احييت
من تلك المحاولة مندما تذكرت
محاولتي الاولى . فقد احسست
بحاجتي الى التعبير عن نفسي ..
فكتبت قصة .. لكن الحرافيش
اخذوا يشيخون تصنيقا وتجرعا ،
مما اسوء امانة النقد ونواسته ،
لكني وجدته تهجما وقعا على
احاسيسي ومشاعري ، فمزقت
اوراق القصة ، وقلت في انفجالي :

— لا اراك الله يوما تفقون فيه
موقف الاستاذ مني ، يا ملاعين .

ومنذ ذلك الحين لم اكتب كلمة
واحدة . واكثرت ان امش في الحياة
دون ان اهرق نفسي بالتعبير عن
مكنونات مشاعري . لكنني اليوم ،
وفي هذا المساء الساحر ، اشمع
بحاجتي الى ان افعل شيئا ،
استبعدت فكرة الكتابة التي يوقت
في مخيلتي لحظة ثم ماتت . حاولت
ان اغني ، قطعت الفناء عدة مرات

لاصغر بنمي صغيرا لا ادري اهو
الحزن معروف ، ام جاء تعبيراً عن
حائتي الشعورية ؟ . ووددت لو
وقعت . كنت سعيدا الى اقصى
حدود السعادة ، لكن ينقص سعادتني
هذا الجيوب القائم الذي يغطي
ساقها الى حدود « التايير » الضيق
عند الركبة . انحرص اماني على ان
تستكمل الصورة الحزينة ، فصر
على ارتداء جورب قائم ؟ . اتحاول
ان تخفي المرح الخفيف بوسيلة
مسا ؟ . ام هي محاولة لسد نقص
تستشعره في نفسها ؟

جرت اماني في مخيلتي من جوربها
القائم ، وتمثلت لي صورها الجميلة
الساهرة . انا ملكت الجवाल
الجسدي الصارخ ، وكل الذي اطلبه ،
فتاة كاماني تستطيع ان تملأ في
نفسي بئرا عميقة حفرها الحرمان
العاطفي . ويرثم انساقي جسمها ، الا
ان هذا كله ليس الحافز الذي شدني
اليها ، انه طبعها الهادي وسحرها
الكامن في غلالة الحزن التي تطوف
كالظيم على ملامحها المتناسقة .

رويت للحرافيش الاحاسيس
التي تكتنفي ، ويبدو ان حديثي لم
يلق منهم استحسانا ، وان كانوا
قد تظاهروا بالانصات والاهتمام .
اندفع فهمي بسريرته المهوودة
يقول :

— متى الزواج ؟

سألني دون ان يعلق اهتماما قط
على اجابتي . وربما دفعه الى هذا
تظاهرة بالانصات التام .

تحول موضوعي الجاد الى فحشيات
وتعليقات . نسوا تماما حكايتي مع
الفتاة الحزينة ، او ربما تساهوا ،
فقد همس حسين في اذني :

— بيني وبينك ، لا اصديق انك
تص .. انها احلى مفارئك ولكن
باسلوب جديد .

ثرت عليه ، لكنه غاظني حين روى
لي انتصاراته في مباراة الطاولة
الاخيرة ، ووقفمني موقفا التحدي ،

فقلت بصوت جهوري :
- لا اراكم الله يوما تشمتون في
يا ملاعين .

في هذه المرة استعظمت ان
اهزمه ، واؤكد للجميع اني المنتصر
دائما ، ومثل التحدي الذي واجهني
به ، وجدتهم يتحدثونني اذا انا
اجبت حبا صادقا . لم يعيروا الامر
اهتماما عندما كاشفتم بان الفتاة
من نوع جديد لم اعهد له قبل .
لكنهم - برغم كل ما قلت - لم يجدوا
في الامر شيئا جديدا ، وامروا على
موقعهم البارد ، يواجهون به
حماسي وانفعالي .

حان موعد لقائي بها ، انتظرت
طويلا ، فلم تأت ! .. ايمكن ان
يحدث هذا ؟ ! اراها تكذب ؟ !
ام انها تلعب بمواطني واحاسيسي
وتستهين برغيتي الحادة في اللقاء ؟ !
لاول مرة اشعر بالخيبة والهزيمة .
لم يحدث قط ان اخلفت لي فتاة
موعدا ، كما لم يحدث قط ان هزمني
احد في الطاولة ، وحتى في مباريات
الكرة بالكلية ، اكون النجم الاول
للالام الذي يعتمد عليه الفريق في
احراز الاهداف . اشياء كثيرة تؤكد
انتصاري ، فلماذا الازر بعوضد
بسيط كهذا ؟ !

موعد بسيط ! . تضاحكت في
اماني من هذا التعبير الغريب ،
وقلت في نفسي : ليس هذا تعبيرا
حقيقيا من الازر الذي احسبه
.. فانه يعلم كم اعلق من أهمية
على هذا اللقاء ، بل كم انا جاد في
علاقتي بها .

سرت في اشرار بلا هدف
واضح ، ثم انعطفت الى المقهى
لاجلس مع الحرائش . احسنت
بحافظ قوي بدفنتي الى تحدي
حسين في الطاولة . انهكت معه
في معركة حامية دون ان يهتم احد
منهم بالاستفسار عن اللقاء الفاشل ،
فحملت لهم هذا السلوك ، واخذت
الزهر حول انتصاري في الطاولة
وضعة شائهم . كنت اشعر براحة

كبيرة في هذا . انتهت المباراة
بانتصاري عليه ، ورجعت في وقت
متأخر من المساء ، وانا اشعر
بالارتياح والانسباط .

لم انا ان افعل شيئا سوى
التفكير في النوم ، وكان هذا التفكير
محاولة قاسية . فقد اقيمت جسمي
على الفرائض وحاولت اغلاق عيني
دون جدوى فحملت مشدوها في
الظلام ، ثم ما لبثت ان فكرت في
اماني ، وفي لقائي الفاشل ،
وسلالت في مرارة : كيف يمكن ان
يحدث هذا ؟ !

مضت ايام مضية عانيت فيها
الكثير من الالام . لم احاول ان
ازور احدا ، حتى المقهى الذي لتفتي
فيه كل مساء ، انقطعت عنه . ولم
اخرج الا للضرورة . جاني حسين
وهو يصعب ان مرضا ألم بي .
وحسين ودود بطمه ، وقد حدثت
الله ان حسين هو الذي زارني ، فانا
استريح له ، سألتني عن سر غيبتني
فقلت : بعض المشاغل التي يعجز
دور ذلك . وقلت بان القى لهم
عما قريب .

لست ادري سبب اعتكافي
بالبيت في اغلب الاوقات . ايمكن
ان يحدث هذا ؟ ! فتاة كأماني قلب
حياتي راسا على عقب ! . وتنقص
حياتي : وتقيد انطلاقتي ، وتحسن
انفاسي المحمومة ، وتردني الى طريق
آخر ما كنت افكر فيه قط ! . طريق
لا ادري السير فيه مرغما ام هوى
النفس جرنى اليه حبا في التغيير ،
وملا من حياة الاستهانة . لا ادري
بالضبط تبريرا معقولا لهذا السلوك ،
لكن هناك حقيقة ثابتة في ذهني
لا تقبل الجدل ، وهي اني اجبت
اماني لدرجة لم اكن اتصورها ، وانني
عانيت الكثير من الالام والتفكير
المتضارب الى الحد الذي لا يمكن
للحرائش ان يصدقوه . فكلما
الام ترن في صلبهم رثينا اجوف ،
فلا يصدون لها معنى ولا يشعرون
بها .

استعمت سعادتي تتحدث عنها .
- قولني اي شيء من اماني .
اريد ان اصرف منها كل ما تربينه .
اجسست سعادتي ابتسامة خفيفة
وقالت بصوت هاسي :

- لقد اخلفت لك موعدا .
- كيف عرفت ؟ !
- اجبتها حقا ؟ . بيني وبينك
هي فتاة تبيلة وتحب الحياة ، لكن
الطبيعة جاءت ضد رغبتها في الحياة
.. اتدري سر جوربها القاتم ؟ ! ألم
تلاحظه ؟ !

قلت في لهفة :
- لاحظته ، ولا ادري .. لا ادري
سر .. لا ادري ..

- بساقها اليسرى اثار حروق ،
وكذا تمتد هذه الآثار الى اجزاء
اخري من جسمها .
نظرت اليها نظرات تائهة ، ولسم
تستطع مقلتي ان تستقرا في
مصحريهما . كنت في حالة قلق
ودعشة . واكملت سعادتي حديثها
لتجيب على نظراتي المضطربة :

- هي التي صارحتني بذلك
واخلفت الموعد حتى لا تتطور بالعلاقة
الى الحد الذي لا يمكن بعده ان تلثم
الجراح . شعرت بمدى حبك الكبير
لها ، لكنها خشيت ان تفجسك
بالواقع المرير الذي يعيش في لحمها
كضحايا النار .

للت بغرقتي .. جلست على
مقعد واشملت لقافة ، اخلت انفت
دخانها ونفي اعمامي صوت يصيح
« ما اهو الحياة ؟ ! » . احسنت
بنار تزحف الى اصابعي . حاولت
اشغال لقافة اخري ، لكن ما لي
المبة قد نفد ، اطبقت يدي عليها
بقوة والقيت بها بعيدا ، والصور
المنبت من اماني يصبح هذه المرة
في غلظة : « سقا لتلك الاقدار
العمياء » .

نهضت عن الكرسي .. نظرت الى
ساقتي ، لشدة ما عجزت من امرها ،
كيف تبدو ان ضيفتين واهنتين ؟ !
الم احرز بهما انتصارات عديدة في

فرحة البعد

الدكتور محمد رجب البيومي

★ ★ ★

وازعمني في الهوى صادق العهد
الى بعض اوقات اعيش بها وحدي
يسل بلا كف ويفري بلا حد
ويضري باطواء الحشا لافح الوجد
تلوح بوجهه باسم غير مرید

من البين والهي كالقضاء بلا وعد
وكنتم الد العيش في زمن رغد
وابديت للأصحاب ما لم اكن ابني
فاستلقت مكروبا الى راحتي خدي
على هوله اقسى حريقا من البعد
واقبلت معهود الحشا ذاهل الرشد
اسير بيد سكير المكبل بالقييد

اليس عجيبا ان اتوق الى البعد
اليس عجيبا بل مريسا تشوقي
لكنك اخل البعد سيفا مجردا
وازعمه يفري العيون بنمصه
ولكن تأملت النوى فوجدتها

ومعني الليالي ذات عام بماجل
سقا ليله الداجي على فجاءه
فولولت كالطفل الفريز حماقة
وجلجل في راسي الصداق مطارقا
وخلت عذاب الله في العذل لن يرى
ولما دنا التوديع ولول خافقي
وخلت فضاء الكون سجننا بناظري

ترور اختي . علمت انها رحلت ،
وتركت رسالة مع اختي تقول فيها :
« لقد صممت على الرجيل .
بدلت جهودا مضنية مع اسرني حتى
توافق ، لملك في الفراق تنسسى
ما كان . اما انا فيعلم الله كم انسا
احبك ، وحبى لك هو الذي املى
على هذا التصرف . وكيف لا احبك
وانت حلمي اليتيم الذي دأب .
سمائي الحالكة السواد !! » .

طوبت الرسالة في السمع مض
يوشك ان يستغر الدموغ من الماقى .
وجلست اكتب - لأول مرة - قصة
حبي التي ماتت وهي جنين . ومن
يولها الود بالزهد عن صخب
الاباطيل ، فاشباع الحرائش ان
الجنون اسابني !! .

لانها تبعد عن الحس المادي بمبدأ
شاسعا . شيء اخر كان ينقصني ،
ووجدته في امانى . وكان الله انبتها
في حقل عمري ، وجعلها صورة
شائنة حتى يحرمني مما تلذذت به
كثيرا . ليكن هذا قدرى ، فانا راض
به ويلقى نداء صاحبها في اعماقى
من الصعب علي حبسه . جسدها لا
يهمني في شيء ، وانما الاصاله
الانسانية التي تفيض في اخلاص الى
مدى بعيد يصل الى حد المطفاء
السخي .

حتى غلالة الحزن التي تطوف
كالقيم على ملائحها ، حتى هذه
الغلالة جمعت منها شيئا من الصعب
علي الانفصال منه .

ولكن اين هي امانى ؟ . حاولت
ان اثقي بها فلم اوفق ، ولم تمع

مباريات الكرة !! ، كيف بالله احس
هذا الاحساس الغريب الذي يكاد
يشلها من الحركة !! .

تمشيت في غرفتي ، ولما ضقت
ذرها بها ، خرجت الى الصالة
واخذت اجوبها ، واحساس طابع مصف
بفكري . . احساس يدفعني الى ان
افعل شيئا ، اي شيء . وعجبت
لادعاء الحرائش بان حبي هذا ادعاء
زائف ، ولا يعدو ان يكون نوعا من
النزعة العاطفية التي تنتهي من حيث
تبدأ نزعة جديدة .

تشبعت اكثر بهما . لا يهمني
جسمها المشوه . انا ابصت عن
الاعماق ، عن الروح ، عن شيء لم
انله من قبل . اكتشفت في امانى
الاغوار السحيقة المليئة بالنفخات
الحية التي تشيع في النفس لسدة
ناعمة لا يقدر انسان على وصفها ،

القاهرة حسني سيد ليبيب

ولكن وضعا لم يكن في بصوري
رايت فتاتي - يا لها من نبيلة -
بدا الجزع الطافي على قسماتها
وترمقتي حبا كان لحاظها
وفي صمتها معنى اكتتاب رايته
تجلى اسماها ناطقا بوفائها
اجل كنت شككا اظن وداها
فان نظقت اولت ما نظقت به
واني على ما كان من فرط حيرتي
على طول شكي استلذ جوارها
احب بقاتمي في الحياة لاجلها
اسر بحرأها واهوى حديثها
فلوح بعينها مسارح فتنة
تعلم معنى العيش لي فكانها
فلما جلا التوديع كامن جها

وعبرت الاشواق بين جوانحي
فطيرت مزهوا اليها رسالة
وجاشت معاني الحب ترجم خاطري
ولكن الهاما تدفق وحيه
رايت احاسيسي يسير دوالها
كان بلاغات المصور تدفقت
واكبر ما روى المشاعر دها
تالق وودي الصحيفة ياهرا
وابدى من الشوق الهيف مواجدا
كاني حيت الخلد صيتا وشهرة
لهادي بريدي مسعنا بخطابها
وحيد لي يوم اللقاء مبشرا
اتمق مصول الحديث مهيشا
وهاجت احاسيسي بصدي غنية
اريد نباتا يسير ان عواظي
وسارعت لاستقبالها حين اشرقت
بدت فيها الوجه الجميل بقله
وصافحتها كي تغير الكف اختها
فايدت بعينها حديثا فهمته
ولم يتسم مثل الصغيرات بل بدا
لقد ابرز استقبالها كوداعها

اذا اسلف الوصل القريب لنا يدا

تولى باحساسي من الفد للشد
تكاثر في اعماقها زفرة الوجد
ونبل في اخفائه غاية الجهد
تناشديني الا احول عن العهد
يجيب بما لا يملك القول من رد
فبدد وهما اسلم العين للسهد
ملاهي خود نقل الوقت عن عمد
وان صمتت، فالصمت فاتحة الصد
اقدم في استرضائها الروح لوتجدي
واعتده اشهى مذاقا من المجد
واتشق منها مثل رائحة الخلد
ولا كهيام العالجات على السورد
تؤجج نار الشوق في العجر الصلد
لغدوت مليكا تالذ الحل والمقد
تيقت ان الكون اصبح لي وحدي

ولست تجاه الشوق بالرجل الجلد
ترجم احساسي فتصنع عن ودي
ولم تك لي في القول سابقة العهد
فتفر وجه الصخر بالانغمس اللد
من الادب العالي متفكة السرد
على قلم يختال بالكاتب الفرد
فقد بل حر الشوق بالسلسل البرد
فضم لون السورد رائحة السورد
سرت وقدمشاهدت اشباها عندي
والا، فما لثية جاوز بي حدي
فاسدى الى المشتاق انفس مايسدى
فبت لهيف النفس احلم بالسورد
ضروب فكاهات تجل عن الصد
ولا كهياج الموج بالجزر والمد
تنهنه من عزمي فاكل عن قصدي
وفي مقتي جوع يضاعف من وجدي
ويرعاه في تسياره طائر السم
بمشبوب وجد، لا بني لافح الصهد
ولا كحديث العين للعين اذ تبتى
لفظي ابتسام القول في الاخذ والرد
هو اها، فدعني اذكر البعد بالحمد

فان يدا لبعيد جلت عن الايدي



محمد سليم رشديان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشديان

المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الأردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة العلم »

العزير الفاني

قال لي بعد ان استقر به المجلس .

كنت في الامس ادير مفتاح المديع في المنزل ، فاذا بي ادخل على محاضر يسترسل في حديثه عن الحنين الى

الوطن واهله ، وكان فيما اورده من شعر الشعراء شاهدا على ذلك بيتين من شعر شوقي يقول فيهما :

وطي .. لو شئت بالخاله ضمه .. ترايتني فيه في الخلد نفسي
احرام على بلائسه السدوح .. حلال للغير من كل جنس

وكنت احفظهما من قبل ، ولكنني مع ذلك فوجئت بهما كما لو كنت اسمعهما لأول مرة ورايتني حياهما

استعيد سلسلة من الماضي ، توغل كثيرا خلف طوايا الذكريات .

قلت : وان من حثك ان تفعل هذا ، فظالما تاخرت

بهذين البيتين بالغ التأثر ، كلما وقعت عليهما عيني في

كتاب ، أو سمعتهما يترددان على لسان منشد ، وانهما

لن جيد ما قاله امير الشعراء احمد شوقي في قصيدته

السينية الطويلة ، معارضا بها سينية البحري التي

مظلمها :

صنت نفسي مما ينس نفسي .. وزهقت من جدا كل جس

وقد نظما في الاندلس عندما كان مبعدا عن وطنه
مصر الى هناك . وان هذين البيتين في تلك القصيدة
لن أجود ما قاله الشعراء في الحنين الى الوطن . ولقد
كان شوقي ينشد هما في الاندلس فتندم عينه حيناً الى
وطنه ، كما كان يستمع اليهما بعد ذلك الكثيرون ممن
أبعدوا عن اوطانهم فتفيض منهم العبرات حينئذ ايها .

نقال صاحبي : وان هذين البيتين قد أنارا في نفسي
من لواصع الشوق والحنين ما أفاض دمي وهز وجداني ،
حتى الفيتني اردد مع شوقي :

احرام على بلائسه السدوح .. حلال للغير من كل جنس ؟

وكنت اقول ذلك وخيالي يحلق الى بيتنا وبيارتنا

عند مدخل مدينة يافا الجميلة ، فاذا كيف يتمتع بهما

الفاصون هناك ويحرم علينا - نحن المالكين لهما شرعا -

ان نطاهما اقدامنا . ذلك ما ذكرني به شعر شوقي امير

الشعراء ، فذكرت معه ما يشجي القواد ، ويشير فيه

جراحات الاحزان .

قلت : وانه ذكرك بعزير غال ، وذلك الله يا اخي الى

بيتك وبيارتك ، وبذلك يكون قد ودنا جميعا الى فلسطين

الحبيبة ، فردوسنا المسلوب من وطن العرب ، وذلك بعد

لواء الاسكندرونة قرب مدينة حلب في سوريا .

وهند ذلك ايتسم صاحبي بعد الذي قام على وجهه

من الاسى ، وقال مدحيا : وجملت بيتنا وبيارتنا في يافا

مفتاح ذلك كله ؟ !

نقلت وانا لارد له دعابته : مماذا الله يا اخي ، بل

سوقا يكون ذلك كله - ان شاء الله - مفتاحا لبيتكم

الجميل وبيارتكم الغالية .. ثم لا عليك .. البست

النيحة واحدة ؟ !

مفاجأة .. ننتظرها

ان الذكريات صدى السنين .. ولقد رايتني استعرض

هذه الذكريات ، ويتجاوب في مسمعي منها صدى السنين

ونحن ما نزال في اخريات ايام العيد .

ورايتني اسمع من هذا الصدى تكبيرات العيد ،

تردد على افواه الوف والوف من المسلمين في مختلف

اقطارهم ، في اعقاب الانتصارات المدوية في ايامهم الفر

المحجلة ..

في اليرموك ، وفي القادسية ، وفي مصر ، وشمال

افريقيا ، والاندلس ، وفي الهند والسند ، وفي مختلف

اتاق المشرق الاقصى ، حيث شارفت جنود المسلمين

حدود الصين .

ثم رايتني اسمع من هذا الصدى تكبيرات العيد

خلال ذلك العام ، الذي سجل فيه المسلمون انتصارهم

العظيم على اعدائهم الروم في معورة ، ذلك الانتصار الذي

ناروا فيه للكثيرين من شهدائهم ، بعد ان تناهت الى

اسماع المعصم - قائد تلك الحملة - استغاثة المرأة

العربية المسلمة من (زبطرة) التي هتفت بها ، وهي قبي

قيود الاسر مرددة : (وامتعصماه ..) !!

سم رايبسي - احيرا - اسمع من هذا الصدى
تكبيرات العيد ، في جوانب الحرم القدسي ، بعد ان
ظهر صلاح الدين الايوبي من تحكم الصليبيين ، وبعد ان
اعاده الى حوزة العرب والمسلمين ، وطرد منه الفرس
الظالمين ، الذين جاءوا ليستعمروا بلادنا باسم الدين ،
والذين يريء مما فترقوه من مجازر .

لقد رايتني اسمع من هذا الصدى ذلك كله ..
اسمع تلك التكبيرات تمتلئ بها افواه اولئك الاحرار
المجاهدين من اسلافنا ، وقد امتلأت ايديهم بالنصر ،
وتوجت هاماتهم بعزة الاقوياء ، وكرامة الفر الميامين ، فاذا
بالصدى يتردد هادرا مدويا متيقفا ، توكد ان ترجع منه
الجبال الراسيات .

والى جانب ذلك .. رايتني اسمع صدى كان
ما يزال قريب العهد ، لم يمتدح به الذكريات خلف السنين ،
وتلك كانت تكبيرات العيد ، تردد هزيلة ضئيلة متخاذلة ،
على افواه العرب والمسلمين ، في مختلف أنحاء الارض ،
وعندهم يحتل ارض الاسراء والمراجم ، ويشم اليه مدينة
القدس ، بكل ما فيها من مقدسات وامجاد ، وحسبك من
ذلك المسجد الاقصى ، قبله المسلمين الاولى وموى
الثديتهم ، حين يتظلمون الى سخرة المراجم ، سبيل نبهم
الكريم الى المسلا الاعلى .

اجل .. كانت تكبيرات العيد تتردد هزيلة ضئيلة
متخاذلة ، على افواه اولئك المسلمين في دوقنا بل عدهم
تنهال على الامنين في اريد وما حولها من قرى ، وعلى
مشارف دمشق واربابها ، وعلى قناقل الطويس والجزيرة
الخضراء .. ثم على جنوبي لبنان ..

كان الذين يكبرون لا تمتلئ ايديهم بفنائم الانتصارات
الدوية ، التي امتلأت بها ايدي اسلافهم من قبل ، حين
توجت هاماتهم عزة الاقوياء وكرامة الفر الميامين .

ليت شعري الى متى .. ؟ وهل سيظل عدونا
يتعمر علينا بيباسه وجبروته ، ونحن نقابله بهذه الفرقة
والشتات ، صغوا مفرقة متخاذلة ، وكل واحد منها
لا تربطه بسواه رابطة .. ؟

هل سيظل عدونا يضربنا احادا ، والاخرون
يشهدون ولا يحركون ساكنا ، حتى اذا جاء دور الواحد
منهم ، لم يجد من يلتفت اليه في مصيره المحتوم ؟

ترى .. هل سيظل هذا دأبنا ، ام انها ستكون هناك
المفاجأة التي ينتظرها كل واحد منا ، مفاجأة وحقة الصف
واجتماع الكلمة ، والسير تحت راية تتخفق في ظلها عزرة
الاقوياء ؟ !

اننا لننتظر ، ومنتظر معنا الاحرار .. وليته لا يتوَلَّ
هذا الانتظار .

انهما الحيلة

هناك قصة رمزية .. وهذه القصة الرمزية ذات مدلول
بالغ الاثر ، وهي مما تنتهي اليها من آكار السلف الصالح ،
وتحن لا تزال تناقلها حاضرا من غابر ، ويسرنا الصغير

منا والكبير ، وهي تتحدث عن صياد كان قد نصب شبابه
في يوم عاصف بارد ، فوقع فيها عدد غير قليل من
العصافير ، فجاءها وجمل يتناول العصافير واحدا بعد
واحد يلبسها ، ودعومه تتساقط من شدة البرد والريح
العاصف ، على خديه ، فنظر اليه عصفور لم يجيء دوره
بعد ، وقال لجاره في الشبكة : « لا ترى الى هذا الصياد
ما ارق عاطفته ؟ انه يبكي لشدة اشفاقه علينا !! »

فقال له جاره وهو يعجب لفرط قبالة : « ويحك ..
انك لو نظرت الى ما تصنعه يداه ، لرجست عن حكمك
عليه .. »

تلك هي القصة الرمزية .. وهي لا تصدو كونها
اسطورة ، ونحن اليوم نميش في حال مثلها ، ويكاد
يجري بيننا فيما نحاور به بعضنا بعضا ، شبه ذلك الذي
يجري بين المصغورين في الشبكة حيال الصياد ..

ان هذا الخلاف المصطنع - الذي نتحدث عنه
الصفح والاذاعات متدنا - بين عدونا الذي اغتصب وطننا
في فلسطين ، وبين الدولة الظلمة التي زودته عن عمد
واصرار وتخطيط مدروس ، بطائرات الفاتوم ، وقنابل
النايالم ، والطياريسن الماجورين بسخفا من رعاياها ،
والقبح المصنوع المضخوخ في المحافل الدولية ، وتحدي
مشيئة الملايين المنة من العرب ، حين تضع تحت تصرف
عدونا كافة الافاق العسكرية التي سيطرت عليها في
وطنا الكبير باتفاقات صورية ، ومعااهدات يكشف زيفها
الاحرار يوما بعد يوم ..

اجل .. ان هذا الخلاف المصطنع بين عدونا وبين
تلك الدولة الظلمة ، التي تتحدث عنها اذاعتنا بما يشبه
الارتياح والرضى ، وتبرزه صحفنا ومجلاتنا بالعناوين
الكبيرة ، قد اوجد بين بعض فئات الشعب مندنا مجالا
يتحاوون فيه ، وهم يتهمون اعدائنا بالاجحود ، لانهم
تتكروا من احسن اليهم ، حتى صدق فيهم قول الشاعر :
اعلمه الرمايسة كل يوم فلما اضئت ساسمه بعاني
وتتظلي طيلم الحيلة ، وتخدعهم : لبيانات التي قصد
من اعدادها خديعتهم ، ويتوهمون ان هذا الخلاف سببه

المطف علينا ، والتحول الى جانبنا ..
ليت شعري .. كيف غاب عنهم : ان المرء لا يمكن
ان يخاف من يده التي بها ياكل ، وعليها يعتمد ، ويفعلوا
يكون بطشه حين يصول ويحول ؟ ..

كيف غاب عنهم : ان الشجرة الناضرة في الحقل ،
لا يمكن ان تتنكر للساقية ، التي توصل اليها الماء ،
فيمنحها بالبلادة والنعاء ؟ ..

بل .. ما لهم ، وهم يرون ما ينزله عدونا بالامنين
المرل من مواطنيتنا ، بسلح تلك الدولة الظلمة ، وقنابلها ،
وطائراتها وطياريسها ..

ما لهم لا يدركون - حيال ذلك كله - تلك القصة
الرمزية .. قصة الصياد والعصافير ؟ !

عمان - الاردن

محمد سليم رشدان

كلمات حزينة

مهداة الى الدكتور عدلي ناعوم

اصيب ولدي محمد بمرض نفسي شديد الاتروولى الدكتور عدلي ناعوم علاجه بقدر ما
نتبعه القلب من علاج غير ان خلقه الكريم وتقديره للواقع كان فوق مجال الحديث ،
ومن ثم كتبت هذه الابيات ...



ذلك العمق : ما شكرتك : لولا
كل خطب ، برما ولصلا
جانبا مشرق الملامح سهلا
طارق دونه الاماني قتلى
من شفاذ المدى وارهدف نصلا
من ربيع الربيع اندى واحلى
وترى فيه : طرح عمر تولى
امل طاش خلسة واضمحلا
بمن وهم جفنى ، وهم اطلا
وهو في الحائث يقتل قتلا
رقدة للمنون اهون تكلا
كان واد الحياة بالموت حلا

شط مني الحديث قطعاً ووصلا
في كلامي ولا ازخرف قولا
طوقنتني يدك برا وفضلا
ادركتني ، والقلب يترف هولا
لفتة منك عن كياني حملا
خفيت ، والرياء مهما تحلى
موقفا لم اجده في الناس قبلا
بعمما كنت من همومي ابلى

انسي لم اجد لعطفك مثلا
مثل من يدعى المروءة فعلا

عبد العليم القباني

يا عميق الاحساس بالناس لولا
عشت ماضي كله اتلقى
لا يرى الناس من حياتي الا
غير ان الذي اصاب فؤادي
لا ترى العين سهمه وهو اخرى
مس مني بنسي وهو شبيب
تتبع العين خطوه وهو يمشي
فلذاه ما بين ليل وصبح
في وجود تعير العقل فيه
باكيا تارة واخرى ضحكا
فلواني خيرت في الامر ، كانت
واذا كانت الحياة عذابا

يا رجاء الرجاء عفوا اذا ما
فاننا المرء لست احسن زيفا
واذا كنت قد شكرتك لما
فلانني احسست طاقة عطف
لم اقل جفت الجراح والقت
انت من يدرك الحقيقة مهما
انما هزني وقوفك منسي
موقفا ردني الى الصبر حينما

يا كريم الفؤاد والنفس حسي
ليس من يدعى المروءة قولا

الاسكندرية

التفصّل الذاتية » .

المراجع التي بين أيدينا ، تشير إلى أن الرصافي لم يشهد حرباً من هاتيك الحروب ، التي قال فيها شعراً ، لأنه لم يكن عسكرياً .. ولكنه لاجسامه بمسؤوليته تجاه الأحداث والارتفاع إلى استواءها ، وتمتعه بروح وطنية ونفوة دينية عالية من جهة ، ونفاذ بصيرته ، وفؤدة بيباته ، وإصالة ملكة التصوير من جهة أخرى ، تمكن من أن يعيش هذه الحروب الطاحنة ، ويواكب بعقله وفلبسه ، عاصمها ومعارفها ، وأصلا إياها ، وما يمور في أعماقه ، وصفا حيا العرب إلى التجسيد الفني المميز ..

لا بدع في ذلك ، فإن هنالك شعراء كثيرين في الأدب العربي القديم ، والحديث ، كذلك في الأدب الهلالي ، وصفوا الصروب : مشاهدتها ومظاهرها .. آثارها وأصدانها ، وما اكتشفتها من تيارات وغرائب ، وما استعمل بها من آلات وأدوات ، دون أن يشاركوا فيها ، بل تناولوا تماثلاً فيه صدق التجربة وعمق الملاحظة والواقعية المجابهة . للرصافي قصيدة عنوانها « الحرب في البحر » يتناول فيها قصة الحرب الروسية اليابانية الثانية سنة ١٩١١ ، بسبب من محاولة روسيا للاستيلاء على أحد موانئ اليابان ، تمشية لمصلحتها التجارية ، وتسهيلاً لشكائنها الحربية في المستقبل بعد يساهم من محاولاتها الأخرى في السيطرة على بعض الموانئ والمضايق المرتبطة بمياهها الإقليمية . ومن هنا يدات مالمدون .. الآن أن عنوانها ياء بالضمير ، كان له أثره في التاريخ الحديث على الصيدين السياسي والاقتصادي ..

والرصافي المعروف بمدائه التقليدي لروسيا ، تلبسته حال من المظلم الآسائي على اليابان ، وما هرغت لمدون مبيت ، نفعه إلى ذلك كله روح أسلانية ، حيث نظر قصيدته وأصلا بها الحرب ، وكيفية تصادم الأسطولين : الياباني والرسي ، وصفا واقفياً ناطقاً :

صعروها في البحر حرساً لروسيا نائل المال لآنها والنفوسا
قرب الجوشية قد تصادم أسحو لأن أرى اليابان فيه الزبوسا
يوم طرغوا خطاً بأسطوله الرو بي قتلاً وكان يوماً مبروسا
فصاحها بواجراً تملأ البحر وفاسوا طغورا وطغورا بوسا
كذل مضارة كذل فطعها خضفصت بسه القاموسا

لم يسلول :

جهزوها مدافعها فخرت أعواء نساو قيد التقمن الشوسا
دعست الموت من أثارها حمرأ ويل من أيد شدا بها لموسا
ترسل الموت في قتالها كاشهد لربها مستصلا شربوسا
طاشا مانفجرها فتلحق البصر انقلابا مذكرا عهد موسي
أما الرصافي في وصفه متحمس .. عندئذ لا أمثال به اليابانيون
من روح متؤنية حركتهم لانتقام والاستعداد لحرب قادها قائدهم «طوغو»
حتى أن نازهم في سبيل النصر ، جعل البحر يملو «الدم من دخان»
وجعل « العتبات تفتش من القليب » ، وجعل طرادهم يتور بجيش ..
وكان الجبال ترى فيها البراكين تطلق الموت :

يث أسطوله فلبسه « طو » بو « بأسطول خصمه ليبسا
حيث قد اجملت من التلجج العتبات تفتش من القليب ليبسا
وعلا البحر مكفهر غصام من دشان هم ولكن بوسا
نار طرادهم بجيش يتسا فأت سفل لهم سحرن الوطسا
كجبال نرى البراكين فيها تطلق الموت جبارها والنحوسا
فأباحومهم هنالك فتصلا والفتنا لموسهم والنفيسا
فصل اليم كم تقمن منهم مفرقا في عبابه مخفوسا
هاجومهم وللهجج مسير ملات واسع الفهم حبوسا
هكلا أتمر اليابان بعد سقته روسا ، وألباسها نوب الهوان ،

حتى صار يوم التصادم ذكرى فطار ومجد عبر التاريخ :
فكسومهم من الهوان لبوسا وستوهم من الكشون كؤوسا
صرعت في الوقي ليوت من أيا بان أسطول خصمها مفروسا



وحيد الدين بهاء الدين

الرصافي في شعره الحربي

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

يبدو لنا الرصافي ، من خلال دراسة شعر الحرب الرصافي بقده ، أنه ميل إلى العشوائيين .. هناك يوم .. حسب لهم .. مدافع عنهم ..
لعل التفسير الواقعي المفعول لهذا كله ، هو كون الدولة العثمانية مسلمة تمثل القيم القديمة ، والكفاني الروحية ، التي جاء بها الدين ، والتجسد الوجود الإسلامي في الشرق كله . لم أتأ حياض الديسار والديسار ، والحريصة على مصالح المواطنين في جميع الأمصار ، ولك ذلك التي كانت واقعة تحت سلطانها ، وفي مناطق نزلها ..
إذن أن العامل الديني الذي تجاوب معه الرصافي بمواقفه وأفكاره ، هو الذي جعله يشعر بهذا الشعور العميق ، ويدعو إلى المديان من كيان الدولة العثمانية ، ومناصرها ، والانتفاف حولها ، في كل الحروب التي خاضتها مع أعدائها في الدين والتفاني .. وإنما هي حروب الاستعمار الغربي الذي يريد أن يسيطر على الشرق لكسي يستعله ، ويعتد بمقدراته ...

وحري بالذكر أن الرصافي لم يكن وحده الذي استجاب لهذا العامل الديني ، ووقف بشدة إلى جانب دولة الخلافة ، وإنما كان هناك أكثر من شعراء العراق والبلاد العربية ، من أمثال الكافسي والزاوي واليعقوبي والبايجي جي وأبي الحسن ، وشوقي وهافظ وصبري والرازي ، إضافة إلى بعض المفكرين الاجتماعيين والسياسيين كجمال الدين الأفندي ومصطفى كامل ومحمد رشيد رضا ، ومن أقيم . مرد هذا التماثل مع السلطنة العثمانية ، على الرغم من سياستها المتينة ، وواقفها المعاش ، إلى اعتقاد هؤلاء وغيرهم ، بأن الضطر الحقيقي يمكن في النمو الاستعماري الزاحف من الغرب ، ويتشكل في وجوده .. ومما يقوله مصطفى كامل : « أن سياسة التقرب من الدولة العلية هي أحكام السياسات وارشدها ، فالصمد الأكبر هو الاحتسكال الإنجليزي .. » .

غير أن باحثين آخرين يفسقون إلى العامل الديني - وهو من حيث طبيعته عامل داخلي محض - عاملاً آخر خارجياً ، وهو « الرقبة في

خانتوصها عزالها ماضيات
 وجوها في السروع يبيح فصال
 ايراهيم كتب الفخار دوحسا
 ان يوما لهم تقضى بوجو شيئا
 ليوم بالذكر وان الفروسياسا
 اما حرب الطليان بطرابلس الغرب ، فمن الحروب التي ما نقسا
 اصداؤها تردد في رحاب التاريخ الحديث ، كما امتزجت به من احوال
 وميجاز .. فقد كانت الامبراطورية العثمانية في اواخر احوالها تنكس
 الضعف والاحتلال .. بدا كيانها يتزق ، ومجدها يتلاشى ، وظلمها
 يتعمر .. لذا قام الطليان باستغلال هذا الضعف استغلالا افراهم
 بالهجوم سنة 1٩١٤ على طرابلس الغرب بعد انواطوسهم في السهل
 الاستعمارية الكبرى في اوردق ، بقصد الاستحواذ عليه والانتفاع بموارده
 الطبيعية واستثمارها لخاضهم الذاتية ..

ولا بد ان نجد الرصافي يصف لنا هذه الحرب في ثلاث قصائد ،
 هي من اروع ما نظم في هذا الفرس ، واصفها تراء ، واصفها اقرا ،
 لان تجربته الشعرية تسم بالصف والصف ، واصفها تصاب السيابا
 حماسيا ، تناقزت فيه الانطاف والماضي على حد سواء ..

يقول الرصافي في قصيدته الاولى : « ابي الحرب » :
 الا انتهى وشرب ابيها الشرق للحرب **وقيل بالسياف واسلحوه الكتب**
 واحسب الرصافي في بيته هذا متاثرا بقول ابي تمام :
 تاليف اصدق الباء من الكتب **في حده الحد بين الجند والكتب**
 وبواصل فاشلا :

ولا تغتر ان قيل عصر تصمد **فان الذي قالوه من اكاذيب الكذب**
 بعزل الرصافي هذا ، ما عمله الطليان « بين مصر وتونس » من
 استباحة الحرم واستغلال الحرم :
 البست تراهم بين مصر وتونس **اباحوا حرم الاسلام بالقتل والنهب**
 ثم يرى الرصافي ، ان الطليان ينبغي ان لا يؤخذوا بالهجوم
 وحدهم ، ما داموا قد تعالوا في العلاء هذه **الجملة المتشابهة ، التي**
 انصمت الى الثانية .. وتعتبر اقل : ما داموا قد تقاسوا سبيها ما
 يمكن من يعزل من المعتاد والاراضي :

وما يؤخذ الطليان بالذنوب وحدهم **ولكن جميع الفرب يؤخذ بالذنوب**
 هاتي ارى الطليان منهم يمسجلون **بعد « وهم يفرقون » منزل الكذب**
 فلولاهم شم تقلى العهد ناضى **ولا شعاع حق في طرابلس الغرب**
 بلاد غدت في الحرب تدن ناضى **فتبكي وتستغيث بين الترواوير الغرب**
 قد اشكاه الطليان وهي بمضجج **من الامن لم يلقى يرب على الجنب**

ثم يشرح الرصافي بتصوير هذه الحرب ، وما كان بها من اصداء
 فندت الانذان وهزت الامعاق ، ويصعب ناز النقلة على الاستعمار الذي
 يحاول الزحف الى الشرق لمسح حصاره ومعتداته ، والاستئثار
 بغيراته وموارده ، والاستيلاء باماني شعبه ، كذلك يشرح بوصف
 الدفاع وهي تلفف التيران « كالأول السكب » ، وسحب الدخان
 يتناهي في الفضاء اللامعود حتى لم يبق لمة ذرع ولا فرج .. اخبر
 ولا يابس ..

ولكن هؤلاء القوم الذين لا يترددون في الدفاع عن وطنهم المقدس ،
 ولا يخافون من نهرته والاستماتة في سبيله ، هبت طيهم روح نكياه
 منهم ، وكانت من اسباب الجذب والعل :

فما اتيتك الا لمرعة مدفع **وما نهشت الا ابي مؤلف صعب**
 فطست افواه الدفاع دونها **تج عليها النار كالأول السكب**
 حواقي من سحب الدخان لدعها **وتسلفها نيف الزلال للهب**
 فعدت ترمي فيها عشيا وبكرة **فلا يابس ابلت ولم ليق من رطب**
 وما ان شكا من عفة الحرب اعلمها **ولكنهم شاكرون من عفة الجند**
 لما خلقت تحت الهياج قلوبهم **لا اخلت اصحابهم رجلة الغرب**
 ولكن جرت نكب الرياح بآرهم **فجرت عليها كتل الحجج النصب**
 ويشيد الرصافي بشجاعة الليبيين ، حانا اهل بنغازي على نصره
 طرابلس وانتشلها ، في الوقت الذي يحمل فيه حملة شواء على

الاستعمار الذي اجاد له الضميمة ولكن ..
 على ان القصيدة الثانية ، لا تصدى الوصف لشاعر الرصافي
 بسبب ما حل بطرابلس من صفة ولقد من جراء هذه الحرب القذرة
 التي اودت بالاس انصوا بالضميمة والبسالة ، غير انه يعود متفانلا
 بان قومه سيثرون باتهم ، وينتقمون من اعدائهم هؤلاء الذين
 ساموهم الضعف والذل :

فانما نقوم ان نهضنا لصدات **من الدهر افرقا بنهضتنا اندرا**
 نعد هضاب الارض حتى تشرها **خيلا على اعدائنا يكبح اندرا**
 ونأكل من الموت حتى كاتسنا **فلو به ما بين اخراستنا انصرا**
 فصلحش « كاتسنا » بنا كيف قوم **شكرنا مواصينا خدومهم الصرا**
 وكيف هزمتهم لفرنا كاتسنا **واباهم اسد الشرى تزد الصرا**
 وكم قد اثرتنا بالسيف جعاهم **نقلنا بها فوق الشرى للمدشرا**
 وكم قد ابلغ القوة ، وهو **بصف بالدم فريح ما صنم الطليان**
 يقتل المسلمين بطرابلس ، وكيف اوردتهم موارد الهلاك ،
 حتى لاوا ما لاوا صابرين مصارين .. ثم كيف اقدموا على قتل
 النساء .. وهل ينوي شغلن على شيء من انتصافه وعنى اشرف ؟
 لك انا يا قتلى طرابلس التي **بها حكم الطليان اسلهم لندرا**
 ادموا بها قتل الخوس تكابة **ان ان صاروا كل بيت بها اقرا**
 ولما اخاف المسكون عيشهم **فعاد الفناء الرعب في عيشه شبرا**
 تاهلرت عيني في الدبر نصصنا **فطربا من خشية الموت واسنلرى**
 واصبح ينكي اهلها من نصيف **فيلتقمهم جبرا ويرهطهم صرا**
 فاولهم بالسياف فرسا زبابهم **واتاههم جعها واجواهم بقرا**
 وما غير « كاتسنا » المين لو انه **تقم في الهجده مسكرنا الجرا**
 ايحجم عينا هاربا بملوحه **ويكي بقتل الايرباء له ففرا**
 وهل حسروا حق النساء شجاعة **وقد تركوا عند الرجال لهم لارا**
 ويرثي الرصافي الى مستوى الحدث ارقب الايام واصالته
 وتود ، وقد قس يراه في قلب يتفرع دما ..

يتر على صليفاك الجريح انها **تسارع قوما قرعهم بالعضا اخرى**
 بني اثم جيب وليسوا بهار ..
 وجين نوص الى القصيدة الثالثة « رؤيا الصافدة » ، يعالنا
 الرصافي بوصف حلم راءه ليلا ، تقضي عليه كثافة الظلال دون الانوار
 .. وما الظلم الا تعبير صريح من حواجه وخواطره التي تراوده ولا
 تراه .. والامه التي تقضي عليه بالحقاق .. والطمع بعد هذا تشويه
 ملايح رمزية ذات دلالات ما حدث ..

وفي نهاية القصيدة يوجز الرصافي بقادة وعشيقته شيخ روما ،
 قائلا :

فشمتم في السور سوانسية **لا حسب هتكسم ولا ادب**
 ما اولد الجمر ناري مزقية **الا واتسم لتارها حطب**
 المسل شعري اذا هجوكم **لانه من هجاكم جنب**
 ملوم من الوجه التاريخي ان بقادرا تعالفت مع العرب اسد
 الامبراطورية العثمانية ، وظالمتها بالانفصال والاستقلال ، بعد نصصها
 نعمة الحرية والسيادة ، ولما كان هذا الامر في حكم الاستمالة وغاية
 الظفورة بالنسبة الى السلطة العثمانية ، لا لظواهر على انتفاع جزء
 مهم من ارضها ، فلهذا نرى عليها ذلك .. وايت ان تسليجهم لهذه
 الظلمة مصر على موقعا الحازم ، ومن هنا انشلت نيران الحرب
 بينهما سنة 1٩1٢ .. واتمم الفران لجبهة النتيجة العاصمة .
 والرصافي ينف ازاء هذه القضية العاصمة ، وقد الفست
 مضجعه ، وابلقت رواقده ، عبرا اصدق نصير في قصيدته « الشودة
 الحرب » عن جلولة النفسية العادة ، ورأسا ما نعتته الحال الرافعة
 بالوان متراكبة ..

نحن لا نطعن الا بفسان من مسستان
 شيم ينظر من تحت ايتها الفريديان

سحر الغروب

حار فكري وناظري أي حسن
لاح أنسى في الأرض أم في السماء
يا لسحر الغروب تعرض فيه
رائعات السنن لصين الرائي
مشهد أثر مشهد مثل حسنا
و تهافت تيهها ورا حسنا
وهنا خضرة توشت بزهر
وهناك الهميم من حول ماء
اشمكلك الأمر باستراج الجمال
من امتزاج المياه بالصهواء
فكان النائي قريب مثال
وكان القريب نال انساني

نجمة الحاج

امريكا

وأخيرا يطلق الشاعر حمزة كايوة من أفواه :

لهي على الجيش جيشا المسلمين فلفه
ففي ولم يفلح شيئا من ليانته
وللرصاصي فضيلة « الوطن والجهاد » نلقها على السر دخول
الاستراتيجية الثمينة في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ،
مستهدفا فيها المسلمين إلى الجهاد ، ومستهدفا الهميم من أجل صيانة
الوطن والكتب من امتداد وحضارته العربية ، ومؤليا إياهم على العدو
الذي كثر من نيوبه ، ونعتق كالتفاهات على فرسته ..

مسلم به أن الحرب العالمية الأولى ، ممتها سيال التسلسل الذي
طفت نزاوله بعض دول أوروبا ، لم القطع التي استالست بالبعث
الأخر .. من هنا دخل الحلفاء الحرب ضد ألمانيا ، وقد انضمت إلى
جانبها الدولة العثمانية ..

وكان من الطبيعي ، والحالة هذه ، أن يقول الرصاصي كايوة ،
وفاء منه لمولته ، ما جابته به فرحته الشريفة الفياضة :

يا قوم أن الله قد هاجبوا الوطن
فانصروا الصواب وهاجموا الإلزام والسكنا
واستنفروا فعدو الله كل قنسي
من ناي في الماضي ارفكم وندا
واستنهضوا من بني الإسلام قاطبة
به تليقون من دين الله والسننا
ثم بقى الرصاصي متحمسا ، ليهجو أولئك الذين خانوا الله
والإسلام والوطن ، لحمايتهم التكتيل ولواقفهم معهم ، لقاء جاء زمي
زائف .. وبالرغم من هذا كله فإنه يتفائل ، ويعيد وطن الإسلام
الذي يبعثه جيشه ، ويرد كيد الأعداء إلى نحرهم ، ويلصق عن
الأحزان الطبقة على الأقال ..

لا زلت يا وطن الإسلام متحصرا
يسرد منك يا الأعداء خسارة
سعديك من وطن جلت مفاخره
ناله أن عاصيك التي سلفت
بالجيش يزحف من ابنائك الإنسا
ويكشف القسم من افلاك والخصا
من الزوال فلا تفتش بلى وفنا
لبي الفصاحة والتبيان والسكنا

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

وبها قد شهد التجم لتبا والقصران
سبل بنا كل زمان سبل بنا كل مكان
هل يلينا الجهد إلا بالصدام الهندواني
كم جالونا غصنة الهبياء ذات الصممان
يسوب اصمكت في الزود وجه الحدائن

ولا يتنى الرصاصي بذلك كله ، بل يتناول على « البقار » تومنا
إياها بالويل والثبور وسحقها تحت الأقدام الجيش المتعاني المجبور على
الافتحام والجرأة :

يا صلوح العرب واليفشار أولاد
لم يكن إصداكم بالعرب غير الهذيان
أما العرب لدينا من تمام الحيوان
فأزكوا الإصدا يا أبناء حمراء المجان
ودموا العرب فليس العرب من شأن الجيآن

ولكن ماذا كانت نتيجة هذه الحرب البلقانية .. العثمانية ؟ !
كانت النتيجة المؤلة سقوط « أدنة » على أيدي اليفشار ،
وزحلهم نحو الأمان .. نحو الأستانة ، على ما تذكر المصادر .. بعد
هزيمة الجيش العثماني ..

مرة أخرى يلجأ الرصاصي في قصيدة له موسومة بـ « أدنة »
كاشفا فيها همومه التي تالتت عليه ، وأحزانه على ما حل بالمسلمين
وذيابهم من مأساة لا سبيل إلى نسيانها ..

أدنة مهول هلال القسي
سدتني لك التهد والمولكا
وداعا لكلك زاهي الرما
وداعا لكلك النسي

عزاء لمسجدك الجامع
وهل في مصلاه من رايكع
فيما لتسوطك من حاجع
وبالرم من هذا كله فان الرصاصي يعاول أن يبعث السيلوي
والرجاء في النفوس .. ولكن هيهات !

ويستدعي أدنة لا تجزعي
إذا لتت بالعيب لم ترجعي
إلا أنت « الأستانة » فاسمي
وخلص الفرنسي من بعد ذا

ولعل أشهر معركة دارت رحاها في الحرب البلقانية العثمانية ،
كانت معركة « لولا بولغار » التي هزم فيها الجيش العثماني وتطعمت
شوكته ، وفال فيها الرصاصي يدافع حزبي شعرا يطلع بالاسي ، ويتلق
بالسيف على قائد المعركة « ناظم باشا » الذي قال : أنه سبب
انكسار الجيش العثماني لغيابته وميته ، واقفاره على التسعير
بالمسؤولية العربية والتاريخية .. والذي لقي مصرعه على أيدي
الأتراك في الأستانة ، وهم كانوا يمارسون ويحاصرون الاتراكين
الذين كان ناظم باشا متنيا إلى هزيمهم ..

وفي هذه القصيدة وصف الحرب النابذة وملاسلها ، وتصور
لما تصدى له الجيش العثماني ، من تكسات متلاحقة وفتاح متصلة ..
ناله لم ينكر في الحرب مستكبرا
وكيف وهو تفوق الطيس كثره
ولكن قائداه مما كان يلقاه
حتى لقد نلت في الحرب بينه
لافل يرسف في التيران مرتبكا
حتى شدا جلته لكثار مالفكة
ثم يقول وهو يطلع خيابة قائد الجيش ولوهو واستهتاره :

ليس القرار لجند المسلمين إلا
وكيف يطلب جيش كان قائده
للعيش لتتسم التيران أنفسه
أقام في القصف والإجناد طابرة
ان القرار لكفر في ديناته
يطلع بجيش من خيانتة
وقائد الجيش لاه في مجاتة
مافرا بهنست بنست حاتته

الصغيرة تضحك وترقص . شيء مبهج انراها . الفرحنة تغرد في عينيها . ركضت نحو جدتها المنهمك باعداد نارجيلته وفهوته وتعلقت بدميه والهفة تصرخ في عينيها : زردو .. زردو .. يسة .. اوه . اوه .

واشارت الى الخارج بيدها الصغيرة الناعمة . كانت الصغيرة افرودة البيت الحلوة بحركانها المحبة . فقد توقف والذي مند مبئين عن الانجساب . وعادت شيفتي بعد سنة زوجها . واطلت صغيرتها على الدنيا فانهجت البيت بقرقة حلوة ، جعلت البيت يزهر ، وتممه الحركة من جديد . الارض اليباس اينمت وامرمت بفنوة جديدة ، وحياة جديدة ، وزهسو جديد . واطلق الجد على الصغيرة اسم « نادرة » وكانت نادرة في كل شيء . في وجهها المنضم الصغير ، في لثفتها الرقيقة ، في نغمة اندى من الندى وارق من الحرير .

اصبحت الصغيرة لولب البيت المتحرك ... وكان عمرها آنذاك سنة ونصف عنما اقتربت من جدتها وهي تنادي ملهوفة متمسكة بقميحه ، ناظرة في عينيها وبلهفة حري تردد : زردو .. زردو ... يسة .. اوه . يرفها يديه ، وينظر في عينيها المتوسلين ويمضي بجسدها الصغير الفض الى حيث تشير باصبعها الرخص . عند باب السدار هرة صغيرة تصوف بني غريس طويل نموء ، وتظفر بعينين زرقاوين براقتين الى القادمين ، وسرعا ما تقدمت تتمسح بدمي الجد الطويلين وتدنن معلنة مهادنتها ومحبته لاهل البيت .

انزل والدي الصغيرة الى الارض وقربها من الهرة ، فخافت والتصقت بالجدار ولكن لم يكد ياتي المساء حتى انعقدت اواصر الصداقة بين الصغيرة والهرة . عندها حضرت أمي

الى المنزل حاولت طرد الهرة لان ابي كان يكره القطط ويحبها ناقلة للجراثيم ... لكنه قال لها .. هذه القطعة ضيقة « ياسميئة » المنزل فانركها لها .

عندما انعقد مجلس العائلة في المساء بعد العشاء مباشرة . كانت اصابع ابي تنقر بالقطط على طرف دائرة النارجيلة انتحاسية باقشاع جميل وكانت الصغيرة الطسوة كالفراشة الملونة تدور وتدور .. ترقص وترقص ... ثم تتقدم من جدتها لتأخذ رشقة من فصيل القهوة وتعود الى الرقص والدوران من جديد . ونحن نصفق ونضحك . متبهجين فقد دخل على العائلة شيف جديد . لم نعلم بعثله يوما . الهرة

الهررة والصغيرة

بقلم رياض نصور

الصغيرة يصوفها البني الطويل ، وتمسحها بالافدام ، وزرنتها التواصلة . هكذا اثرت العائلة . ملكت صغيرتان « هرة وفنوة » ما احلاهن تندابان وترقصان وتلآن ليت بهجة وحيسور وزقرقة مفرحة . لا شيء يضاهي هذا الانطلاق الملون المايث « نادرة » تحمل خيطا رفيعا وترقص دائرة في البيت والقطعة من ورائها تلاحق الخيط قافزة عابثة في كر وفر .. ونحن نتفرج على فصول المسرحية



المحبة مصففين ضاحكين . الصغيرة والهرة ملحمة عبث وضحك ولعب . اهروجة متواصلة الحفلات . مسرحية قلقة مبهجة .. الصغيرتان نمتا . واصبحت القطعة تدرك انها والصغيرة اليرتان حبيبتان للعائلة .. واصبحت « نادرة » تتحدث بطلاقة عن هرتها . وفي المساء عندها كانت الصغيرة تلوذ الى الفراش اللانيء بعد لحياء حفلتها المتأدة . كانت الهرة تقفز الى الطرف الاخر من الفراش لتنام عند قدمي الصغيرة وهي تدندن كالعادة ..

ذات صباح ... صرخ والدي بصوت صال جدا « يا لطيف » وسمرت حركة غير عادية .. كانت اختي تبكي ... واسمي تضرب صدرها بيدها المضمومة . اما اختي فقد اجشش بالبكاء مخبئا وجهه بعلم كريمة ...

كان ابي قد دخل الى الخرابة المواجهة للمنزل وخسرج منها وفي عينيها اثار دموع ... وحمل صحيفة مليئة بالماء وبعض الطعام .. ذهبت الى هناك . رايت القطعة متكومة على بعضها . وخيط رفيع من السماء يخضب فمها ، وهي نموء نموء رتبيا موصولا .. جرت نفسها حتى الصفيحة واخذت قليلا من الماء . لم اعد اقوى على النظر . احسست بقلبي يندى وبالدموع تتساقط ملرارة على خدي .

اخذني ابي من دراسي سرودا : لا تخيروا الصغيرة .. لا تدعوها ترى الهرة . وان سالت عنها ، قولوا لها : ستمود ذات مساء .

كيف جرى الحادث ؟ عندما حفر بالغ الطبيب ، فتحتنا الباب . تسلفت الهرة من بين اقدامنا ومضت تلعو في الشارع . عبرت عربة مسرعة بجرحا حسانان ... مرت عجلاتها فوق ظهر القطعة الفض .. صرخت أنا .. توقف السائق نظر الى الوداء .. كانت القطعة نموء

الموسيقى الاعمى

ولعب باللحون كما تشاء
فكل يد بها خمس سواء
يزفون ثم يحجبه الغناء
لطيفا ثم يقببه الشناء
كما جمع الحبيبين اللقاء
يلحن مثلما توحى السماء
ليقصي الممر يشغل الفناء
اظل الصبح أو هبط المساء

رياض معلوف

انامل يشجع بها الفياء
كان بها من الحداثيات عشا
وحط بكل انملة هزاز
فانا كالريبع نصي هديرا
فتعتمة وهمهمة وهمس
واعمى في فتنه بصير
شبيه الطير تقفا مقلتاه
ولا يدري بما في الافق يجري

زحلة - لبنان

فاجابها ابي يسوده : لا انها
بيستك ، ذهبت الخيشة الى السوق
وغيرت فستانها .
كلت ابي قد ذهبت الى المطبخ
محضرة طعاما للهرة المدورة .. التي
استانست قليلا ثم مضت هاربة
متوارية تحت الخزائنة .. حاولنا
اخراجها بدون جدوى .
رفعت الصغيرة رأسها وشربت
الدواء . كنا نحاول سامتها اخراج
القطعة من تحت الخزائنة .. وكانت
الصغيرة تضحك . انها اول مرة
تضحك بها بعدما فقدت قطعتها .
كنا ننظر الى بعضنا بعضا والبهجة
تغرر قلوبنا . ومرت ابي يدها فوق
جبهة الطفلة مرددة : لقد خفت
الحمى .

وتردد صوت الصغيرة مختلطا بين
الفضح والكاء :

.. لم اعد احبها .. اصبحت
رذيلة .. يا ليتها لم تذهب للسوق
ولم تشتت فستانا جديدا ،
واقترنا في الفضح ، واقترت
معنا الصغيرة . وعندما أشرقت
في عينها الحياة ، عادت أشراقه
الحب والحنان الى البيت من جديد.

رياض منصور

الاذنية

الوجه الصغير الملائكي ، وان معبود
الفرحة وإشراقه الحياة الى العينين
المسليتين . كنا نمود صقارا نقفر
ونضحك ونفني لنتنزع الإبتسامة من
بين شفثيها الرقيقتين .

لكن كل ما كنا إقفه لها كان يلف
حائلا يئسا وبين اقناعها يشرب
الدواء ، أصبحت الفتاة شغاف
أداللة وكان ابي يعلم انها لن تشربه
ما لم يحضر رجلا غريبا يظنه الطبيب
فتخافه وتشرب الدواء . كان ابي
عنفا يحين الوقت ينادي أي عابسر
ويرجوه قائلا : طفلتنا لا تشرب
الدواء ، مريضة تحرقها الحمى ،
ارجوك ان تدخل معي الدار لتشرب
الصغيرة دواها . وكانت هذه هي
الحيلة الوحيدة الناجحة .

ذات مساء . لم يدع ابي رجلا
غريبا . كانت الصغيرة ترفض شرب
الدواء . اقنع طريوشه ولف رأسه
بشال اثناء اللرد القارس ومضى ..
عاد بعد ساعة حاملا قطعة صغيرة
بشعر خالط سواده يياضه . كانت
القطعة تموء ، وتمد مخالبا بشراصة
محاولا التملص من بين يديه .
رفعت الصغيرة رأسها من القرائش
وادارته باتجاه والذي مرددة : هذه
ليست بيستي .

ونزحف باتجاهي كنت انا لم وأنا اكاد
اهوي الى الارض .. قال سائق العربة
يقضب : يا للمصيبة انها هرقا وقبقة
ضاحكا وهو يمضي ضاربا الحصانين
بالسوط . ومضى وقببته تمتازج
بضجيج المجلات المجرمة .
واحسنت ان ابي لم يعد يقوى
على الكلام .. وانا لم اعد اقوى على
السؤال .

دخلت المنزل لاشرب فنجال
القهوة قبل ذهابي الى الوظيفة .
كانت نادرة قد استيقظت تسال من
هرتها .. كانت تنظر الينا قسردا
فردا وتدور بعينها السليتين في
ارجاء الدار تنادي قطتها وهي تفتش
الغرف غرفة غرفة . واحسبنا
بدنو العاصفة . اخذها جدها بلذاميه
قالا : تعالى ! يا ياسمينتي تعالى ،
سأشتري لك كوزا من اللدة ...

نسيت الطفلة قطتها الى حين وهي
تاخذ بيد جدها ومضى . ولكن
عندما عادت احسنت ان المنزل قد
خلا من رفيقتها الدائمة .

كان ابي يتسلل الى الخرابية
باستمرار حاملا للقطعة الطسام
والشراب ، ولكنه كف فجأة عن
ذلك ..

اما الطفلة ، فام تكن تكف عن
السؤال . كنا نقول لها انها ستاتي
في المساء . وباتي المساء فنقول لها
انها ستعود مع الصباح . وجاء يوم
كفت به الطفلة عن السؤال . وانزوت
ياسينة الدار لا ترقص ولا تدور ،
ولا تاخذ من فنجال رشقات من القهوة
.. كانت تتطلع عبر أنافذة بصمت
وتسأل وحيرة : ... واصبيست
فجأة بالحمى ، وانزوت في فراشها
الصغير ، وجلست جدها بجانبها
تحكي لها الحكايات . هزلت
الصغيرة ، ورق مودها . كانت
ترفض تناول الدواء وكنا جميعا
خائفين ، يخيم فوق رؤوسنا اللمر .
نخاف شيئا مجهولا يهددنا ونحاول
جميعا جاهدين ان نرضي ياسينة
الدار . ان نجعل البهجة تعود الى



محمد العبداني

اغلاط شائعة

يقلم محمد العبداني

لا بد لي في صدر هذه الحلقة من سلسلة مقالاتي ، من الإشارة إلى التي استشهد ، في كثير من التصويبات ، بأي من الذكر الحكيم ، وهو المرجع الاسمي في اللغة العربية . ولكن استعانة وضع الحركات على الحروف بالاسلوب الذي يطبع به مجلتينا الفلحة « الاديب » الأفراد حتم على حذف تلك الآيات الكريمة ، خوفا من أن يهضم بعض ممن يقرأها ، وساكفي يذكر اسم السورة و رقم الآية هنا ، ليرجع اليهما من يشاء ، وأدبا بإيرادها كاملة في الكتاب ، الذي سياتر بجله بعد الانتهاء من نشر مقالتي المتابعة هذه ، على صفحات هذه المجلة الدسمة ، أن شاء الله .

ولا بد لي أيضا من أن أورد رجائي إلى فهم الادب في العالم العربي ، أن يبدأ ملاحظاتهم اما مرسله إلى « يريد الاديب » ، أو إلى في منزلي ، وعنواني : صيدا ، لبنان ، فلما لا آمن الضار ، رغم أنني أفرغ جهدي في نخل المعاجم وهدأت كتب الادب الموجودة لدي . ولست ادعي الكمال ، فالكمال من صفاته تعالى وحده ، ولكنني ادعي أنني ممن لا يجهلون الايدي البيضاء ، التي يسديها إلى الايدي المحض الذين نلروا بفسهم لفهمة الفحص بإخلاص شديد ، لا يكون ممن وراء ذلك سوى خدمة أمتهم العظيمة ، ولتتمم الحلقة ، عندما يوجهون إلى ملاحظاتهم التوبة بتواضع جم ، وهدوء تام .

الثلاث سنوات الاولى

ويقولون : لم يرسل اليها رسالة في الثلاث سنوات الاولى . والتصويب : (فسي ثلاث السنوات الاولى) . والقاعدة تقول : اذا كان الممدود مجهولا ، فالتعريف له ، واذا كان منصوبا ، فالتعريف لعمده . نحو : جاء السبعة عشر رجلا والخمسون

امراة . واضمت سبعة الدبران (أنا ارى ان تكتب سبعة دون ذلك بعد الكيم) . واجاز قليل من النحاة تعريف الجرايم في المركب الاساسي ، فقالوا : السبع العارضة والثلة الجندي . وهذا الجواز ضعيف ، لأن أمة النحاة يمتعون تعريف المصنف .

نماتيا

ويقولون : كانت الغنيات نماتيا . والتصواب : (كانت الغنيات نماني) لأنه لا يشترط في الكلمات التي على وزن منتهى الجسموع ان تكون جمعا ، لكي تمتع من الصرف . فكل اسم جاء على هذه الصيغة - وإن كان مفردا - منتم من الصرف ، كسرافيل (اسم مفرد مؤنث ، وقد يذكر) ، وطياشير ، وشراجيل (علم على رجل . فمن قال آته عربي ، منته من الصرف ، لأنه على وزن منتهى الجسموع ، ومن قال آته اعجمي منته علمية والعجمية ، مضيفا اليهما صيغة منتهى الجموع) *

ثم جاء بعد ذلك

ويقولون : ثم جاء خالد بعد ذلك . والتصواب : (ثم جاء خالد ، يحلف (بعد ذلك) ، لأن (ثم) لتحل التي لنفسه .

النساء خطابه

ويقولون : قال نزار أثناء خطابه . والتصواب : (في أثناء خطابه) ، لأن كلمة (أثناء) هنا ليست ظرفا ، ولا مضافة إلى ما اكتسب منه القرينة ، لتستفي بها من حرف الجر . وهي جمع (تني) بكسر التاء وتسكين التون ، و (أثناء الشيء) : نصايفه . وقد قال النجاشي في مستعركه : كان ذلك في أثناء كذا ، أي : في عصوته .

هناك مخرج واحد لاستعمال (أثناء) منصوبة ، وذلك بنصبها على نزع الخافض .

العدد الترتيبي (١٢)

ويقولون : هذه هي المائة الثانية عشرة (باسم الثانية ، وبناء عشرة على الفتح) ، واضطت على العاصرة الثانية عشرة (بكسر الثانية ، وبناء عشرة على الفتح) . والتصواب : الثانية عشرة (ببناء الجرايم) على الفتح هي ثلثة المجلتين ، لأن الأعداد المركبة (من ١١ - ١٩) كلها مبني بجرايم على الفتح ، وبشد (التاء ، اثنتا) ، لانهما تعريان ملحقين بالثنى ، فنقول : جاء اثنا عشر سريسا من الطالعات . شاهدت التي عشرة بأدجة .

اما في العدد الترتيبي فان (الثاني والثانية) من العدد (١٢) ليسا مطعنين بالثنى ، لذا يودعان إلى البناء على الفتح ، شأنهما في ذلك شأن الأعداد المركبة الأخرى ، فنقول : ثلثة (ببناء الجرايم) . نمتا في الغرفة الثانية عشرة (ببناء جزاء العدد المركب على الفتح) . هذه هي الغرفة الثانية عشرة (ببناء جزاء العدد المركب على الفتح) .

الحادي عشر والثاني عشر

اما الأعداد المركبة التي يكون صدرها (الجزء الأول منها) منتهيا بياء ، فان هذا الجزء يكون مبنيًا على السكون ، فنقول : جاء الحادي عشر والثاني عشر ، ورايت الحادي عشر والثاني عشر ، ومريت بالحادي عشر والثاني عشر (يتسكين بياء الحادي والثاني في الأمثلة كلها ، وبناء عشر على الفتح) . اما شين (عشر) في الأعداد المركبة فتفتح دائما ، وشين (عشرة) فتسكن دائما .

مدينه جدة (بضم الجيم) ، وهي مدينة سعودية على البحر الاحمر ، لا تبعد كثيرا عن مكة المكرمة .

جذع الشجرة

ويقولون : جذع الشجرة . والصواب : ساق الشجرة ، لان الجذع هو ساق النخلة وحدها ، بينما تسمى جميع جذوع الاشجار الاخرى سوقا . راجع الآية ٢٤ من سورة مريم .

كبرياء جريئة

ويقولون : كبرياء (بتنون كبرياء) جريئة . والصواب : كبرياء (بضمه على الهزة) جريح . لان (كبرياء) اسم متعوز عن الصرف لوجود اللف التانيث المقودة في آخره كصحراء وطراء وكرياء (بحر هذه الاسماء الثلاثة بالفتحة) . ولان الفصلة المشبهة بفعل (جريح) هنا بمعنى المصول ، لذلك يستوي فيها الذكر والمؤنث ، مثل (قول) اذا كانت بمعنى الفاعل ، فنقول : رجل قتل وامراة قتيل . ورجل صبور وامراة صبور .

الفلايات الجريعات

ويقولون : عادت الفلايات الجريعات الي ميدان المرة . والصواب : عادت الفلايات الجريعي ، لانا نقول : رجل جريح وامراة جريعي ، وبما ان المؤنث لا تدخله اثناء المروطة ، فلما لا يجوز لنا ان نجعله جمع مؤنث سالبا .

عملية جراحية

ويقولون : اجريت لثلاث عملية جراحية . والصواب : اجريت له عملية جريئة ، لان القاعدة عند النسبة الي كلمة غير مفسدة (متشابه او جمع) ، فانتزعاها الي مرتفعها لم نضيف اليها ياء النسبة ، فالتسوية الي الفرائض والرفدين والكتب والاطلاق والقبائل والسود : هي : عراقى وفردسي وكتابي وخليى وقلبي واسودى (ان كانت السود جمع اسود) ومودوى (ان كانت السود جمع سوداء) . وبند عن هذه القاعدة ما ياتي :

(١) الجمع الذي لا واحد له ، مثل : عيابد وايابيل وتجايد .
(٢) الجمع الذي يجري على غير مفردة . مثل : ملايح ومحاسن ومتسابه .

(٣) الجمع الذي لا واحد له من لفظه (اسم الجمع) ، مثل : قوم ومشر وجيش .

(٤) الجمع الذي يفرق بينه وبين واحد ياء النسب او نساء التانيث . مثل : عرب واعراب وروم وتمر ونضاح (اسم الجنس الجعصى) .

جميع هذه ينسب اليها على لفظها ، فنقول : عيابيدي (العيابيد) المرقن من الناس والخطيل الداهية من كل وجه . والاكمام . والطرق البعيدة) ، ومحاسني ، وقومي ، وعربي ، وتري ونفاحي .

جريسدة

ويقولون : قرأ جريئة الصباح . والصواب : قرأ صعبة الصباح ، لان كلمة (جريئة) مولدة ، ولا حاجة بنا الي استعمالها حسا دام لمسي الفصحى ما يؤدي متناها . اما معاني (جريئة) التي توذعها المايج فهي :

(١) الجريئة : التجماعة من الخيل .
(٢) الجريئة : مسفة طويلة رطبة . وقال الفارسي : هي مسفة اذا كانت رطبة ، وجريئة اذا كانت يابسة . وقيل : الجريئة للتخلعة كالقضيبي للشجرة . والجمع : جريد وجرائد .

جدا في طلب الدين

ويقولون : جاده في طلب الدين . والصواب : جاد يطالبه بالدين ، او لطالبته بالدين ، او جاده مطالب بالدين .

اجاب على سؤاله

ويقولون : اجاب على سؤاله . والصواب : اجاب سؤاله ، او عين سؤاله ، او الى سؤاله . راجع الآية ٣١ من سورة الاحقاف . وقال كعب بن سعد الفتوي ، يري اخاه ابا الفوار : وداع دعا : يا من يجيب الي النداء فلم يستجبه عند ذلك مجيبا فلما ادع اخرى توارف الصوت رفته لعل ابا الفوار منك قريب

جابهت عسدي

ويقولون : جابهت عسدي ، اي استقبلته بكلام فيه لطف ، واصمته بما يكره . والصواب : جهت (بفتح الجيم والياء) عسدي ، اي لقيته بمكره (نقله الجوهري) ، وهو مياز . وقال ابن سيده في الحكم : جهت : اذا استقبلته بكلام فيه لطف . وجهته بالمكره : اذا استقبلته به .

جابهه وجهها لوجه

ويقولون : اجابه المخاطر وجهها لوجه . والصواب : اجابه المخاطر . فيستعملون (جابه) قياسا على ماين وواجه وشابه ، وهذا لم يسمع عن العرب . اما اذا كان المراد بالجاهية القابلة جهة لجهة ، كان ذكر (وجهها لوجه) حشا سخيلا .

ياكلون خبزا وجينا

ويقولون : ياكل الفرداء خبزا وجينا (بكسر الجيم) . والصواب : جينا (بضم الجيم) ، او جينا (بضم الجيم والياء) ، او جينا (بضم الجيم والياء وتشديد النون) . وتسمى القطعة من الجبن : جنة (بضم الجيم وتشكين الياء) . والجبن (بضم الجيم وتشكين الياء) هو صنف القالب من شدة الطوف ، فارجل جبان ، او جبان (بفتح الجيم وتشديد الياء) ، او جبن (بفتح الجيم) .

جبهة وجبين

ويقولون نفعنا يثلون ان (الجبهة) و (الجبين) اسمان لشي واحد ، فالجبهة هي مستوى ما بين الحاجبين الي التامية . بينما الجبين هو ناحية الجبهة من معاذة التزعة الي الصلح . وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها . ويجمع جبين على الجبين (بتشكين الجيم وضم الباء) ، واجنبة (بتشكين الجيم وكسر الياء) ، وجبن (بضم الجيم والياء) . راجع الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

اما جمع جبهة فهو جباه وجباه (بكسر الجيم في الاولى) وفتح الجيم والياء في الثانية) . راجع الآية ٣٦ من سورة التوبة .

مدنية جسة

ويقولون : سافر الي مدينة جدة (بفتح الجيم) . والصواب : الى

صنين زاه بحلم

★

ابن عهدي وطيبات الليالي
واصوغ القريض صوغ الآلي
ما يضيء الفؤاد من آمالي
لحبيب صافي السريرة ، غال
ساحبا مظرفي على الأزال
حالبا في عوالم من كمال
في ، ومبطن مفاخر الاجيال
من جنان خضر وشم جبال
عق جرحي ، من باهظ الأشغال
كانسياب الامال في اوصالي
رافعات الجبين صوب الاعالي
هائعات ترف في الاصل
هز في الكرم غافيات الدوالي
مسيكون الطيوف في الاطلال
عالم الوحي في رحاب الجمال
ابدي الزوى ، عديم التلال
عقري السنى ، مفيض الجلال
واحابين دفقة الشلال
هاج في النفس الف الف سؤال
اوحني الميساه كالسلسال
كالصمام المصقل عند النزال
واشب النغم شائق سيال
فهجرتاه طامعين بمعال
بالأم ، تصبج بالاهموال
في مجال الجهاد كل مصال
وكتبنا على بساط الرمال
في ربي النفس امنيات غوال
ت جفاها ، والدر في الاوحال
ودوا دواهم كالتصمال
وقنعنا من عودنا بالخيال

ابن مني خواطري وخيالي
كنت في «الجرد» انشعاعا شعريعا
وانساجي النجوم اقيس منها
واصوغ السنا اساور حب
واعب الجمال في الروض عبا
سابعا في عوالم من جلال ،
ان لينان جنة الله في الار
ريقات الجمال تجثم فيه
ووهاد عيقة الغور تحكي
وتلال ينساب فيها ضباب
وغياض من دوحه حالمات
ناسات الجفون ، مختلجات ،
والسواقي الخضراء ترسل لحنا
وانا ذاهل الخطى في مسكون
امتطي جانح الخيال واطوي
وامالي « صنين » زاه بحلم
غمرته الشمس من كل ضوء
تتهادى الالوان سجواء حيننا
منظر ساحر مهيب عجيب
وعلى السطح منبع كوثري
فهو آنا يضيء بصا عجيبا
واوانا ملور مثل شعر
لم نمتع بالعيش فيه طويلا ،
فهبرنا شبابنا واكتونينا
وسميثا وراء الثراء وحلنا
فصعدنا بمد العناء هواء
فاستكانت آمالنا واستنامت
وحينا في عيشة تشبه الو
وعدتنا عن الرجوع عواد ،
فاعتمنا بالصبر ، وهو جميل ،

جودج الكندي

لاباز - بوليفيا

مكتبة الاديب



عنبر ورماد

نايف السيدة سلمى الحارث الكزيري - ٢١٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار بيروت بيروت

من الكتب ما يمتع ويؤنس ، وما يخذل بالمقاريه منه في رحلة لذية عبر افاق الفكر والانسانية ، فيستسلم اليه القاري هائلا ناعما ، ويتجلى معه وجوها وافلاها جديدة سرعان ما يلفها وينسجم معها في صداقة حميمة .

من هذه الكتب المؤسسة المتمعة كتاب « عنبر ورماد » للاديبه السورية السيدة سلمى الحارث الكزيري ، الذي يضم مذكراتها الشخصية من عام ١٩٢٢ - عام مولدها - الى نهاية عام ١٩٥٥ . رحلة من العمر استغرقت ثلاثا وثلاثين سنة ، فيها الحلاوة والمرارة ، وفيها من الوجوه والاحداث والبيئات الوان والوان يولف بينها فلم يهرق ، بحسن التعبير بأسلوب طلي رشيق ، فلا ات مع ما يتفكك اليه من اجواء تشر بالبيئة والزراعة ، وتتمنى ان تطول رحلتك بين الصفحات الى ما شاء الله . وحين يلف بك الكتاب عند نهاية الصفحة (٢١٨) قبل الفهرس ، تستيقظ مكتئبا لان الرحلة لم تبلغ بك نهايتها ، ومما يزل بينك وبين النهاية لحظة اخرى لا تدري متى تعود فتبهتها المؤلفة تستأنف معها استمتاعا وانتيافاك بالوصف الجميل والحديث الاثني . يتألف الكتاب من مقدمة والثلاثين وعشرين فصلا ، ويبلغ في ٢١٨ صفحة من القطع الكبير . ولذا كان الكتاب مذكرات شخصية ، وهذه المذكرات تجمع بين السيرة الشخصية العادية لاسانة - كسائر الناس العاديين - ولدت ، وكبرت ، ودخلت المدرسة ، وتزوجت ، وانجبت ، وشاركت في حياة مجتمعها ، ورحلت في افكار متعددة ، والفات صدا من الكتب وبين الاحداث الوطنية والسياسية في فترة مزجعة بالاحداث السياسية والوطنية . لذلك لان سلمى الحارث ، ابنة الزعيم السوري المفلوج له لظلي الحارث ، ولدت ونشأت في بيت شارك مشاركة فاعلة ووظيفة في الحياة الوطنية والسياسية في سوريا وفي الحركة القومية العربية الحديثة . وكان ذلك البيت مثقيا لاصلام الوطنية السوريين والعرب منذ ان اشترج صاحبه - لظلي الحارث - في تأسيس « جمعية النهضة » العربية السرية عام ١٩٠٦ ، في عهد الحكم العثماني ، حتى انتقله الى رحمة الله في السادس من شباط عام ١٩٦٨ . ثم اقترنت في مطلع شبابه بالسيد محمد كرامة ، شقيق الزعيم اللبناني الراحل المفلوج له عبد الحميد كرامي ، وصم الرئيس اللبناني اليوم السيد رشيد كرامي . - واقرنت للمرة الثانية بعد وفاة محمد كرامة بسنوات - بالمذكور نادر الكزيري الذي كان حينئذ استاذاً في كلية الحقوق في جامعة دمشق ، ومستشارا في مجلس الشورى ، ثم اصبح امينا عاما لوزارة الخارجية السورية ، ثم سفيراً لسوريا في اميركا اللاتينية ، وفي اسبانيا ، فشارك بذلك

(اذع من اقامة الملكة الاردنية الهاشمية في عمان .

مشاركة شخصية في الحياة السياسية والوطنية في سوريا . ولذلك لم يكن ممكنا ان تنشأ سلمى في منى من التاتر المباشر باحداث الوطن منذ طفولتها ، ولم يكن بالثاني ممكنا ان تخط مذكراتها من كل ذلك . وهي لو خلت منه لظفت متعرا اكسيراً من عناصر فوئها ، ولذنها ، واهميتها . ولقد اناحت لها البيئة الرافية الفنية التي عاشت فيها ان تعرف اوساطا لها اهميتها في عالم الفكر والادب ، وفي عالم السياسة والوطنية ، وان تنال تاترا مباشرا بهذه الاوساط ، فيظهر الزها بارزا في مذكراتها بعد ان ظهر بارزا في حياتها .

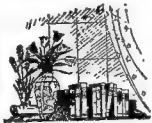
ثم كانت الرحلات ايضا ذات اثر بارز في حياة المؤلفة وفي نفسها الفكري ، وفي اتساع افقها واطلاها ، كما كان لفات المتعددة التي دوستها في الخدمة وعلى نفسها . ولا سيما الفتن الفرنسية والاسبانية اللتين تجيدهم اجادة تامة ، الى كبير في سعة اطلاها ، وتعدد وجوه ثقافتها . يضاف الى كل ذلك - او بالاحرى قبل كل ذلك - شخصية قوية ، طموحة ، متديهة ، اذا جرت حينها امام المصائب ، فسرعان ما تنهض لتستأنف الطموح بقوة وعناد وانداخا ، او - كما تقول هي من نفسها في الصفحة (١٥٧) : « اني امرأة شديدة طموح ، لاني عزيمة قوية ، كما لا يسكوني نجاح » .

ولدت سلمى في دمشق عام ١٩٢٢ ، وانتمت دراساتها الابتدائية والثانوية في مدرسة راهبات الفرنسكان فيها . وفي عريفه صام ١٩٤٢ ، وفي في العشرين من عمرها ، تزوجت زوجها الاول محمد كرامة . ولكن الحياة التي لا ترحم ، لم تمنحها هنا بذلك الزواج ، فقد كانت الفتره بين الخطوبة ، وولادة ابنها نازيه ، وولادة زوجها سنة واحدة وثلاث اشهر . وكانها تلك عناية نفسية منزلة كانت تزوج حياة الامم الشابة ، فلا اربطها بالولود الذي حل في حياتها محل ابيه ، فارادت ان تعيش له : ولو ما كانت تبعد من الرعاية والحب والعناية من اونها . ومن الزعيم الحارثي السيد محمد كرامة ، شقيق زوجها الراحل . وفي عام ١٩٤٨ ، ويشجع ابوي من الزعيم كرامة نفسه ، اقترنت سلمى بالمذكور نادر الكزيري . وقد انجبت منه ابنتين : ندى ورضا . وانتقلت مع بعلها الى اميركا الشمالية والى اسبانيا حين نزل للعمل هناك سفيراً لسوريا فترة من الزمن .

بعد اهتمامها بالادب وهي طالبة في مدرسة راهبات الفرنسكان . وكان لها من تشجيع والدها وتوجيه دافع وعين . وصدر اول كتاب لها بعنوان « يوميات » حالة « وهي في السابعة عشرة من العمر ، وكان تسجيلاً لمذكراتها الشخصية التي تجمع بين السياسة وتصور البيئة السورية بعلاها ونظائرها .

لقد صدر لها حتى اليوم تسعة مؤلفات ، اثان منها بالفرنسية ، وبحويان على مجموعة من قصصها الفرنسية الرقيقة الجميلة . وهناك ثلاث مجموعات القصص هي : (حرمان - ذوايا - الغريبة) ورواية بعنوان « ميان من اشيبية » استوحيتها من البيئة الاسبانية حين كانت مع زوجها السيفر في اسبانيا ، وهي في الواقع رواية فنية وجديدة وعصمت . وهناك ايضا كتاب بعنوان (نساء متفولات) يشتمل على فصول صافية في ثلاث عشرة امرأة من اشهر النساء في العالم . وكانت هذه الفصول في الاصل احاديث قصيرة اذجت من الاذاعة السورية ، ثم توسعت فيها سلمى كثيرا حتى اصيحت مادة دسمة لكتاب فني بالغالسة .

اما كتابها الجديد « عنبر ورماد » فقد عكفت عليه منذ سنوات . وكانت مترددة في اختيار عنوانه . واذاك انها كانت في رسائلها الي عام ١٩٦٨ تقول انها ستعوم « ذكريات ورحلات » ، ثم عادت فترات



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمؤاه شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك المادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

المؤسسات والشركات والموافق الرسمية : ٢٥ ل.ل.

■

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد المادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في أمريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد المادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

■

الطلبات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للإعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٢٨١٩ ٢٢٢٨١٩ Dir : 225819
 طيخون : ٢٢٥١٢٩ ٢٢٥١٢٩ Die : 225139
 Tel :

نوجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

■

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير ادسيب

ان فصل بين الذكريات والرحلات في كتابين متصلين . ولكن يبدو انها قدما قدمت بالكتاب اخيرا الى الناشر عدلت من الترجمة ومن العنوان مما « فجعت الذكريات مع الرحلات » وجعلت عنوان الكتاب « منبر ورساد » . اما الرساد فهو رمز الى الاحداث والوجوه التي فيها الزمن في الماضي ، واما المنبر فهو الرابطة العظيمة التي تربت من تلك الوجوه والذكريات في النفس حين يعود المرء لبلدتها الى الحياه من جديد . وهذا ما يفهم من قولها في ختام مقدمة الكتاب ، وهو : « للاشخاص الذين نهمهم بعمق » وكذلك الاحداث التي نعيشها بعمق ، يبقى أثرها حيا في لؤانا ما دامت الحياه « كالشعلة التي تثير القربى وتدفئ القلب حتى بعد انطفائها . وكثيرا ما تلوح ما رسادنا راحة العنبر » .

وعلى الرغم من اهمية الذكريات والرحلات والاشخاص التي اوردتها سلمى في كتابها هذا ، تظل هذه الاهمية نافضة ، حتى نكلمها - وبهذه وردة - المصاحبة النفسية ، والافكار الكبيرة ، والتفكير الصريح الجريء ، والاراء المسببة الحكمة التي تتناثر هنا وهناك في كل فصل من فصول الكتاب . ويزيد في قيمة هذه الذكريات الشجاعة الادبية المعشقة التي تلمح بها المؤلف ، والتي جعلتها تتحدث عن نفسها ، وعن طباعها وأخلاقها ، وعن حولها دون مواربة ولا معارضة للاختلاف وراء الفضائل الكبيرة وحدها ، دون ذكر الاخطاء . وليس هذا غريبا من سيدة قوية الشخصية ، شبت على الاستقلال في الرأي والنجوح الى التحرر من القيود ، لا التفرغ من القيم ، كما تسول في الصفحة (٢٢) من كتابها . وتقول في الصفحة (٧١) كذلك : لقد عودنا اني على الصراحة واليوق بالعقيدة وان كانت تدبنا » .

من امثلة هذه الشجاعة الادبية المعشقة ان سلمى تصف سوريا في الممرسة (ص ٢٤) فتقول بصراحة من تتعرف بالبطا لاجبا فتمتير الاعتراف به فضيلة : « كنت لثلاثة » ، اطلق على الكثيره والصغيرة ، واصحابك واصحابك زميلاتي ، مما كان يغيب العاطف ويدلهم التي اعطاني اسوا العلامات في الادب والسلوك » . وبسيفها في الصفحة فيها : « لا يد من الاشراف ياتي كنت حادة الطبع ، كثيرة الحركة ، دقيقة الملاحظة ، مستعدة للاجابة على كل سؤال تقريبا ، وسرودة باستسلة كثيرة متنوعة ، منها القول ومنها المرح . وهذا ما جعل مدرساتي مختلفات على مصافتي بشدة كرمي من المشافهة » .

هذا من الصراحة والشجاعة الادبية ، امسا الاراء الحكيمة ، والتمايز الجميلة التي تلمح بها فصول الكتاب ، فقد كتبت اود لو كان الحال يتسع لاني بالترتيب منها ، ولكنني مضطر الى الاختصار بالقليل ليجرد التمثل والاستشهاد فقط . من ذلك قول المؤلف في الصفحة (٧٢) : « ان المرح يغني الفكر والجسم اصحاب ما يتبعها النوم ، كما ان الاسراف في الجهد التواصل والصراحة في الحياة البيتية يستم الروح ويبدل اللحن » . وفي الصفحة (٨٧) : « ويل فلانسان اذا تمت له السعادة ! » ، وفي الصفحة (٩٩) : ليست لي ان الحياة لا يتيسر الا للبابس ، ولا نعد يد الامن الا للوقي الذي بين نفسه » . وفي الصفحة (١٠٠) : « لقد تبين لي بوضوح اننا في الشرق اسرى الناس ، واسرى اعراف بالية مستحكمة فينا » ، وفي الصفحة (١٤١) : « ان التخلو والانسحاب خير سلاح للرد في الحياة » وان الحب والعطاء المزد يتابع الهناء » . ولعل اردع ما سجلته قلما في كتابها هذا قولها في الصفحة (١٤٥) : « ان الانعام الطيحين هم اولاد الاتراء » . وذلك لسبب رئيسي واحد هو وجود مربية ترعاها بدلا من الام ، ولهم بوجهونهم عواشا من الاب » . ان هذا القول هو اردع ما قرأت في مناه في حياي ، ولكن هذه الحقيقة الكبرى يجعلها الذين يفهم امرها ...

ومن الافكار الاجتماعية والادبية التي تعالجها سلمى معالجة حكيمة يعنق قوي مقنع اشير ينوع خاص الى رايها في نظم فسات جديدة

(ص ١١٧) ذرايبا في سبي المرأة للحصول على الحقوق السياسية (ص ١٢٩) .

اما اللحنه اللحنه المشرفة اللحنه فاود ان اقدم مثلا واحدا عليها ، وهو قولها في الصفحة (١٤٩) : « عندما خلق مبدع الكون الفزول انما شاء ، سبحانه ، منح البراري والصحاري لونا من الجمال والرفقة فيقربا » .

ان في هذا الكتاب اشياء كثيرة تستحق ان تلف منها واولها طويلا ، لو كان المجال يتسع لذلك . ومن اهمها القوافي الوطنية ، وقوة الوصف في تسجيل الرحلات . فالتت تقرأ الفصل الذي بعنوان « زوجتان في اجازة » مثلا فنشعر بانك تراقق الزوجتين خطوة خطوة في رحلتها الجميلة الى تركيا واليونان ، وتلف معها حيث تغان ، وتقال معها ما تلاقن ، وتتزهو معها حيث تتزهران ، وتتساهد كل ما تشاهدن ، فكانها لم تكوني سوى دليلين لك في رحلتك .

وليت المجال يتسع لنرى شيئا من وفاتها الوطنية التي تعبر فيها عن شدة تعلقها بمشحق ، وبسوريا عامة . وبالعلاصة ان كتاب « منير ورماد » ، للسيدة سلمى الطحسلب الكزيري ، رحلة في الحياة مؤنسة وممتعة يمتلئ القارئ لو تطول لتطول معها ممتعة وللتنه .

عمان - الاردن عيسى الناعوري

فلسطين وكبرياء الجرح

ديوان شعر - حسن عبد الله الفرشي - ١٧٢ صفحة - منشورات دار العودة ببيروت

ما زال الشعر باساليه ومعانيه او بانشائه ومفاهيمه ، فحسا لحنه الاشجان من لطف موقف واعبير مشرق موسيق ، وما تحمله المشاهدين من افكار ومواقف وصور ، ما زال في صدره الاجناسي الادبية ، وما زال يستميلنا الى قرائته ، ويستهوينا الى حقله ودراسته ، ويستثير اجابنا به ، وتقديرا لقائليه ، على الرغم من تعدد الاجناسي الادبية وتكررها وتزاحمها ، وعلى الرغم من انصراف كثير من المعاصرين عن الشعر الرفيع اتى ما يشبه الشعر ، او الى ما يتشبه به ، مثلما حاول القراء ان ينتشبهوا بالقلاوس ، فلهذا القرائية ، وجرم القلاوسية .

واذا كان بعض الدارسين قد اسفوا لان دولة الشعر دالت ، ودوخته قد صبحت ، بعد ان مضى شوقي وعطران والقفاذ والجماد والرسالي والزهاوي والنعوري والفرابيهم ، فانهم والحقين ، لان العالم العربي ما زال حليا بالشعر ، لريا بالشعر ، ولان الشعر في صوره السابقة قد الف ان تعاقب عليه شرات من قوة وصف ، وابتكار ومحاكاة ، كانها يستمتع زمنا لئليها ، ويتلث حينها ليقف . لقد سمعت لي هذه القوافي وانا اقرأ ديوان « فلسطين وكبرياء الجرح » للشاعر حسن عبد الله الفرشي .

والنايون للحركة الادبية يملكون ان الاستاذ الفرشي من المسج شعراء المملكة العربية السعودية ، وانه كان يوقع على قيادة الشعر منذ صباه ، ولم يزل يوقع عليها ، حتى بلغت ديوانه عشرة ، وهذا الديوان عاشرها .

الديوان مطبوع بدار العودة ببيروت سنة ١٩٧٠ طباعة اتيقة على ورق فاخر في ١٧٢ صفحة من القطع الصغير ، وبسه شرون لصيدة ومطلوطة ، عدد ابياتها ومطروحة ٦٩٤ . وموضوعها كما يتبين عنوانه « فلسطين وكبرياء الجرح » مثل « صرخة الكثر » التي انشدت في مهرجان الشعر التاسع ببيفاد ، و « في رحاب الكرامة » التي سجلت

بطوله المجاهدين الذين دمسترو الجيش الاسرائيلي و « فدائيون » و « دم الشهداء » و « شعب مارد » .

ولكن الشاعر ضم الى القصائد الفلسطينية بعض ما يعنيه وحده ، فلا صلة له بفلسطين ولا بتقنية الصرب ، مثل « زارع الاشواك » و « مديح الحب » و « مهاجران الى القمر » ولينه لم يفلح ، تبني وحدة الموضوع ووحدة العنوان .

واذا كانت تكتب فلسطين وجرام الصهيونية فيها تكتب لكل عروسي ولكل سلم ، آسمت قصائد الديوان بالنهايات العواطف ، والنفاد للشاعر ، حتى لنص ان الشاعر محتاج ، تنفس لوفته في تقمته من الصهيونية ، وفي برمه بقومه ، وفي حزنه الاليم الذي يستمر حينها ويستمر آخر .

من هذا فينتج دما يرى من صفح ترغفه عزة الصرب ، وهوان باباه مايسهم اليه ، وتخالل ينفر منه امهم الكتوب ، فيود لو انهم يقتدون بسلطانهم الفخاريليه ويصور سلاحهم طمان الى الجلال والفرار ، لتحرر الوطن ، وحماية العروى ، وصيانة الكرامة .

ثم ينظر الى الوطن العربي الذي كان حزوا ايبا ، والى معاصره التي ما زالت قط ، فينبجها انما صارت تشكو حوانها ، وتشوف الى البطل الذي يهدىها ويعصمها .

وبعضه ما تفرقه اسرائيل من جسمهم يشع ومنكر ذنيه ينسأه العرب ، فيصورون سبانا ينظفون الى من يك اسارهم ، لم يفلح حزنه فيسبكه على الوطن كله شقاء واحزان !

سأل فاين الشراة من عنان ؟ أين فسان في ملاحمها البك - ملجسات القيسوب بالاريسان - شكت البيد ذلها ليس من هسا - ايسون مني للافغان - ملب النود اسرها وسياسها - نبصبات القيسوب بالاخزان - وبعضه لفسية لاچي، مشرد ين ، متكرا حافره الكتيب العتم ، مشككا في اته سيليل المصانيد الذين دانت لهم الارض احقابا بفسد احقاب :

فياي ذات جنس رطب لا حاسري يهسج ولا شيع على فسل الحب المصود لروح كائنسي رخ في دمي صوت التميم وتصيح الاممي ويصع اتا هنا ابن التميم ايد اتسا حفيد التايهبي اتسا فبار الامي اتسا لكتنه لا بيت ان يسترد الله والامل ، فيصور اسرائيل على حقيقتها ، فيحبه تستند الى الاستعمار وتستلهم به ، فهي هر يكي انتفاخا صولة الاسد ، ويعيدل مواده زائرا على شقان فتاة السوس : فوق القلعة الهسر ين - ار واعداد كسل القودوب ويقول :

عربيت في العصى البياض نسورا تتهاذي فسوق الرياضي الفساح ويطلق من هذه التفتة فيستثير حزمات قومسه فيشبهوا ناسارا نحرى ، ويهتوها فوفانا يتسج ويصر : ونوهجي كالصبر وال - طلقني كطوفان فوسوب ويقول :

امية الصرب وللصرب يسد رغم انه الفند عيت من حديد ضمني الجرح وسيري للصلال شهبأ ترصد اطاع الميبيد تستيد الحق مهمسا ارجفوا وتزف النمر للشعب الطريبيصه صرخة الشار اذا ما جليلت فصرح اليشي لهوي لتصعيد والقوافي في هذا الديوان يجمع الى مدحها وحرارتها انها تبيلة ينفي للناس ان تقوم علائقهم على المحبة والاخاء والسلام والعدل ،

ونكره لهم ان يتعاملوا بشريعة الفأب ، فلا غرابة في ان حفل الديوان
بنفحات من الشاعر الكلوم من العموان على حقوق لومعه ، الحزين
للصفاة الذين شردهم العدو للترمس تشريدا ترتجف له قلوب من لهم
قلوب حتى وان كانوا ابعد الناس صلة بالعرب ، الاسيف لان العلم
والذكاء والخبرة والمال والقوة صارت وسائل لتكئين الظلم وتأييد
الظلمين . ولا غرابة في ان الشاعر لما ساء ظنه بأهل الأرض ود لو انه
يستطيع ان يلير الى القمر ، ليحيا هنالك بنجوة عن معترك الحق
والباطل :

لو كنت رائد القمر
ولو وطلت ذلك الثرى العتيد
مخلقا في الأرض
شوك الياس والقيود
في حقننا الزروع بالآلام
بالحروب والصديد
لما لفلت عالما الى البشر
لما رجعت للشقاء
للعناء والكسر
لمرح الحياة ، لكسر ، كلعيب الأكر
للعاقلين بالسلام والسلام ينتشر

لهذا لم نلتفت حسان باريس بطروادة الانولة ، وطلاوة الزينة ،
ورخامة التيرة ، لانهم في نظره يبدن رقة تخفي وادها مجانسة او
قسوة ، ولعله قد ريد في عقله الباطن بين هؤلاء وبين حضارة الغرب
التي تقود بظلالها الأتلف ما تجه من كلف بالتخريب والتدمير والاعتداء
على حقوق الصفاء :

في باريس عرفت الجحرم
وعرفت القوقعة والصبره
وكرحت الرء الملوثة في وحشيه
تطعيها نظيرة جنبيه
تبديها همسة ماجوره

مكتبات انطوان

فرع شارع الأمير بشير

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبانية المصورة

من بين شقاء مسجوره
فانما شاعر
لا يكله رداء المسوره
يشق فكره
ويرسل اشواق عقيد

والشاعر كلف بالصور ، بجسم بها عواطفه ، وبجسم مشاعره ،
ويشعلها لقرائه . فتجده مثلا يصور الآلهة توفقه ، فيعيش جسدا خلويها
بغير ممرات وبغير إنتاج ، كالتفلة التي تبست فلا لعاء لها ولا ثمر ،
او كالنخلة الفاتلة الجيرى في السماء المسبحة ، وليس له من
سلوى الا شعرة الذي يصرخ به في اذان لا تسع ، وقلوب لا تهي ،
انه يصرخ في مجتمع من القريان ، في ميدان المسجر والمثل والفسيق :

اعيش في تمزقي انا اعيش
كتلة عارية من الفداء والثر
كتجة حائرة بين فتايل السماء
ترقب اشباح اللساء
ذخيري التشيد في متاعة الحياة
واخرة التشيد في شواطر الصباغ
في غابة القريان في مسيرة السام

ويصور عزله بالفتق في باريس بان الجدران تزامت له اسوارا
تحيته ، وتحيب من نظره النور والنار ، فاطلمت دخيله ، فصار
مثل القنديل المظلم ، صار كالسكر الاقول الذي صل عنه النور :

وترابت جدار الخلفة كالاسوار
تحيب من حيني ويعيش الشار
فكانت قنديل مظلم
في جيرة اعشى اجزل سكير

نسيته قافلة النور
وهو يحور الجدران الاسرائيلي داه يطلع اوردت القلوب ، وافى
ثلثت سما بيدي في الاوصال :

ل يوج اوردت القلوب
عسان والساء العضا
عسان والساء العيا
يسري كسم نالصح
وكتيرا ما تلاحق صوره في ابيات تنوالي ، كقوله :

هلالي يسا مواكيب الازمان
وايدي للمجد ذكرى البطولا
وانثري الورد حيث يستثيت الفلا
ورفرى البشريات كالمسلسل العدا
حيث متوى الخلود حيث الحضارا
ت وحيت انتفاضة العائبان
انطقها ملاحسا ترعى الدند
واستعدي التشيد عذبا سخيا
ولقد يلجا في تصويره الى نوع من الخيال محتاج الى تاويل
بعيد ، كقوله لانه :

يسا فارسي الصغير
في نوبك القذائي البشيري
شمس قد تلجر الصخور
وانت والاب هنا هناك تزرع الهدير

وذلك ان الهدير الذي يقصد لا يزرع ، بل يعمل او يصنع او
يفجر . وقوله :

اعلو على وخسر الجرا
ح تشب من حمل وذيب
فان الجراح لا تشب ، وانما تشب النار او الحريق . وقوله :
ورفرى البشريات كالمسلسل العدا و كنور الربيع كالارجوان
فتشبيه البشري بلاء العذب الصافي وبنور الربيع جيد ، اسما
تشبيها بالكون الاحمر فلا وجه له .

والشاعر واضح الأفكار صافها ، لم يحاول أن يزيغ على نفسه ، أو يوه على قومه ، بل كان صريحا مع نفسه ومع امته . لهذا جهر في العرب بأن النكبة تكبتهم وجدهم ، وليست نكبة جار أو ولسي ، وبأنهم وجدهم الكتلون أن يظهروا ديارهم من الدخيل الوافسل ، وبأنهم هم جدهم شلاء تونسهم ويسلم جراحهم :

الخطب خطيبك أنت لا
خطب الصديق أو القريب
لا فسي ديار القرب أو
في الشرق بسره للثوب

واعان فيهم أن الحرب الطافرة هي التي تتوحد فيها جهودهم ، ويتنادى فيها رجالاتهم ، ويتآزر سلاحهم ، وإن يكون نصر بغير جهاد وبغير دماء وسحايا :

عدة الحرب وحدة تسدح العز م
تسيل الاطوار أي التصداح
والكمة الإبسال أن يأمروا إليها
غسي تنادوا لتجسدة واتساح
يفضب لجد من دماء الفصاحيا
أي معنى لتجسد دون اسباح ؟
وبين لهم أن الشهاد يتخلق بالسلام
والثقال ، ويتخلق بالقسول
السديد الوجه وبالكمة المخلصة الهادية :

البراع الصلب والسيف اليماني
غسي ذرى الامجاد لا يفرقان
دب قول هز شعا فاتيبرى
جيشه يخلق للحرب العنان
كتبا العزم مسدا ودم
غسي فؤاد يعرسي الصنفوان
وله استرعى نظري في الشكل العام
مسدة سعات : الاولى ان
الطالع مصرعة ، ما عدا مطلع قصيدته « مهد الاسراء » :
يا الهي ما حل بالقدس يفسرى
كل قلب ويسرع الاكبسا
الثانية ان الشاعر لم يلتزم في هذا الديوان وحدة الوزن ووحدة
الطافية ، فقد نوع الطافية في القصيدة الواحدة : كقوله :

بكيت وكم يبعثي الدمع في العينين
يا نوار
وحشر صولك الزمان مسلوحا
لذكري الدار
ولكن الصباح سيفير الافاق
بالانوار
سيفسح للرا اذار ويورق
فقلنا المظان
لاني ان الاسود نمود تزار
تصنع الامجاد
وتعود من مسعود بلادنا
اسطورة الاطوار
دم الشهادة لا يلوي كتور
دائق التبار
يهدد من ثرائنا ثوبة
الآباد بالآزار

الثالثة انه اكثر من الشعر الحر كثرة يلفظ ثعالي فصائد ومقطعات ، فما الذي سول له ان يفتح الى هذا القرب الذي لسم يستقم عوده بعد ؟ اخشى ان يكون قد اراد بهذا الصنيع ان يجاري حركة يصنها اصحابها والمروجون لها بأنها تجديد لا متدوحة عنه ، واخشى ان يكون قد فعل ما فعله شاعر قال لي في حديث حول قصيدة له من الشعر الحر : لقد نظمنا من الشعر العمودي أولا ، فلمالدا اردت ان ننتزعا مجلة كذا جزئها فضلا ، وفرتها مرقا ، لترحب بها المجلة ، ولقد رحبت بها ونشرها ، ولكن الاستاذ حسن القرشي غسي غنى عن هذه التجارة ان كان مجاريا ، وليس ممن يتخللون الشعارات والدماعى .

فلنقرأ من شعره الحر ، لنجد انه لو كان عموديا لجاء اوقع واجمل وايرع :

ويبنى الجرح بعوي الجرح
لكن تاكل الدبدان
سواد الجرح
تنثر ظها فوق السطوح
نغوص في الاماق
وموتو الجرح جرحي لا يريم
يلج كاتليار
سبيتي الجرح مفتوحا
يسد مائة الافلاك
فلست اجد هنا ما اطرب له من نظم
حلو واسلوب موسيقي نهش

له نفسي . السمة الرابعة ان الشاعر يتلقى غسي اختيار مفردات موحية بجيد وصفها في السياق الذي يقتضيها وتنقيتها . ولكنه قد بلغ بالكلمة صفة لا نموذجا لها في غنية عنها ، كقوله :

مهرجان العرب غسي الريحان
وانع اسرائيل للغرب الجحيان
زرعوها فوق ارض مسرة
تلفظ المار وتجتث الهوان
فان الارض العربية لا توصف
بأنها مرة ، بل توصف بأنها صلعة
او ابيه او عبية ، وقوله :

انسي غبار الامس انسي
منسبه كالفرج الطحوب
فما معنى ان الغبار طوب ؟ مع انه في الايات التي سبقت هذا البيت وصف اللاجي بأنه يعيا في حاضر كتيب ، ويتابع شبح اطل على الفيب ، ويانه مرزا بالثوب ، فالذي يلام الغبار ان يوصف بأنه هباء لا بأنه خلوب ، وقوله :

ولسوحيسي كالتجمر وان
سطلتي كلوفان لغسوب
فالطوفان لا يوزع هذا الوصف . وقوله :

والثغر تشارك غشت ان
الكسان للغيسم الغيب
فان الغيسم لا يكون الا غصبا ، بل هو اشنع من الغيب .
اما بعد ، فهذا شاعر احب الشعر ، واخص له ، وغرس غسي بستانه الريحان والورد ، ففتحته ربة الشعر دها ، وسكنت غسي قلعه فيها ، وامانه بهدائع زخرف بها موافنه الفردية وموافقه الاجتماعية ، فجاء شعره الغزل دائما ، وجاء شعره القومي بارعا ، وان الشعر واحياء الادب ليرتقبون منه مزيدا يغذي قلوبهم وغلوهم والذاهم القائمة الى كل جيد من القال وكل رافع من البيان .

القاهرة

احمد محمد الحوفي
رئيس قسم الدراسات الادبية
بكلية دار العلوم

حياة لورنس السرية

كتاب من تأليف فيليب نايتلي وكولن سيمسون
The Secret Lives of Lawrence of Arabia
by Phillip Knightly & Colin Simpson

على الرغم من مرور اربعة وثلاثين عاما على مصرع T.E. لورنس ، وعلى الرغم من ان اكثر من ثلاثين كتابا قد نشرت عن حياته حتى الان - فمما يزال هناك كتاب يعتقدون ان مجال البحث والتقصي في حياة لورنس ما يزال مفتوحا ، وما يزال هناك قراء تستهويهم مطالعة المزيد من خفايا حياة هذا الرجل الجم . ويعجب المرء حقاً كيف ظلت شهرة لورنس في بريطانيا على شهرة الافاف من رجالاته الافاف - عسكريين وسياسيين على السواء - وكيف ان شخصية لورنس ما تزال مدار الاهتمام من قبل جماهير القراء الكثير ، لا يوازيها في ذلك الا شخصية ونستون تشرشل ، كما يقول المؤلفان . والواقع ان جميع الذين كتبوا عن لورنس اخفقوا في تقديم سبب واضح ومقوّل وعامِل لاستمرار شهرته . والادرج عتدي ان يكون اتصافه لقوة الطيران برتبة نسر عادي بعد ان ركل بقمعه المناصب العالية هو ذلك : من اهم اسباب بقاء الشهرة التي احرزها اثناء الحرب العالمية الاولى . والادرج ايضا ان لورنس كان خليقا ان يلقه جانباً كبيراً من شهرته بمرور الزمن من انه استمر يعمل في سلك الوافاق التقليدية او لو انه تزوج وعاش حتى سن الشيخوخة .

والكتب التي وضعت من لورنس يمكن أن تصنف تحت عنوانين متعارضين : الكتب التي تعمد أعماله وترفع من شأنه ويدخل في عدادها مؤلفات لويل توماس ولعل هارت وروبرت جريز واتوني ناتج، والكتب التي تضع علامات السؤال والاستهزاء المتعمدة لجساء مسيرة حياته ويدخل في عدادها مؤلفي المنجوتون وكاتب هذه المقالة ، وهذا الكتاب الذي نرغمه له اليوم .

يقوم البناء الرئيسي لهذا الكتاب على نظريتين أساسيتين جعلهما المؤلفان محوراً لآبائنا تدور حوله الأحداث في حياة لورنس . أما النظرية الأولى فهي أن لورنس كان أكثر من ضابط عادي في الجيش البريطاني، بينما تقول النظرية الثانية أن لورنس أخضع نفسه متطوعاً متفانياً طوال اثني عشر عاماً لعمليات جلة قاسية بالسياط نتيجة لقيامه بواجبه إيماناً بالحرب .

ويعمل بالآلوان أن لورنس كان أكثر من ضابط عادي في الجيش ، يسوق المؤلفان سلسلة من الأدلة والشواهد يصاصون من خلالها تدمير نظريتهما بأن لورنس كان معيلاً سريعاً من معاد الاستخبارات القلائل الذين تربط أعمالهم بالخطب السياسية الرئيسية في أقطاب العصر الليكروي مجموعة من الرجال الوخشين الذين يعتمدون ان من وأجبههم القومي العمل على توسيع ممتلكات الإمبراطورية البريطانية وبسط سلطتها ونفوذه . وقد أطلق أعضاء هذه المجموعة على أنفسهم اسم (الطائفة المستديرة) وكانوا يصمدون مجلة بهذا الاسم . ومن جملة الشروط التي ربطوا أنفسهم بها أن يتكسبوا على نشاطهم ولا يوهبوا بها لأحد خارج نطاق الجهات الرسمية المختصة . ويسرى المؤلفان أن أعضاء تلك المجموعة كانوا يتعمقون بتفقد قوي من وراء الستار إلى الغرس من أن أكثرهم لم يكونوا من رجال الحكم والسياسة .

ويرى المؤلفان أن الاستلا هوجارتس - وهو مشرق ومؤلف وعالم آثار معروف - كان عضواً بارزاً في جماعة (الطائفة المستديرة) وأنه عرف لورنس عندما كان طالباً في أوكسفورد ، فتوسّع فيه التباهة والألمعية وأخذ يراءه ويحييه ويسمد خطراته : فهو الذي أشار عليه بالسفر إلى سورية لكتابة رسالته الجامعية ، وهو الذي ضمه إلى بعثة الحريات الأثرية في تركيش وهو الذي شق الطريق له عند نشوب الحرب للعمل ضابطاً في الاستخبارات العسكرية ثم عمل على إرساله إلى القاهرة حيث يمكن الاستفادة من خبرته في بلاد العرب ، ثم ضمه إلى (المكتب العربي) الذي ترأسه هوجارتس نفسه . بل يذهب المؤلفان إلى القول أنه لولا هوجارتس لكان هناك - على الأرجح - نظريتهما براهين عديدة من جعلتها تلك البرهانية التي بصت بها رئيس هيئة الأركان الإمبراطورية في آذار ١٩١٦ يعلن فيها تكليف لورنس شخصياً بالانصال بغيليل باشا قائد الجيش التركي الذي كان يحاصر جيش الجزائر ناولسند في كوت الإمارة بقصد أن يقدم له رشوة مليون جنيه ليجي لملك الحصار . ومن جملة البراهين منح لورانس مسؤولية اتفاق نصف مليون جنيه لها أثناء الثورة العربية بفتحها حسبما يراه ملالاً . ومن جعلتها أيضاً أنه عندما فسرت الحكومة البريطانية توجيه الدعوة إلى الملك حسين كي يتتبع مثلاً له في مداولات مؤتمر السلم - صدرت الدعوة من لندن باسم لورنس مباشرة ومن فوق رؤوس كبار القادة والمسؤولين البريطانيين في مصر وسورية وفلسطين ، مثل اللتي وونجت وكلايوا . وفي رأي أن المؤلفين بالقفا في وصف تأثير هوجارتس في توجيه حياة لورنس . أما صداقة لورنس للحرب التي انكراها المؤلفان فاني يصعب الجزم فيه بسري فاطح ، والحقبة التي على الرغم من وجود شواهد عديدة تدل على أن لورنس لم يكن صديقاً صدوقاً للحرب ، فهناك بالمقابل شواهد عديدة تدل على صداقته للحرب : هناك كتابه أعمدة الحكمة السبعة الذي خلف فيه الثورة العربية وقدم من خلاله للعالم الغربي صورة رائعة لتضال العرب

في سبيل الاستقلال والحرية ، وهناك دفاعه عن قضية العرب ومجارته المتحمسة بضرورة الولاء باليهود والوعود التي أعطيت للحرب .

أما تحليل الدوافع الكامنة وراء عملية الجلب بالسياط ، فيرده المؤلفان إلى حالتين يعتقدان أنه وقع له أثناء الحرب . وهما يتكلمان عنه أي شذوذ قبل بدء الحرب ، ولتكتهما يبحان طويلاً في التفاضلات التي أحاطت بملكاه ما وقع له في دما على يد القائد التركي : فله رأى لورنس نفسه هذه الحكاية لفسيدة شارلوت شو ثم قال لزوجها برنارد شو أنها غير صحيحة . ولم يستطع المؤلفان التوصل إلى رأي جازم حيال هذه الحكاية ، ولتكتهما يربان ما حدثاً لا بد أن يكون له وقع له وهز كيانه النفسي ورج أعصابه وأودى براحته باله . ومما زاد وعصه النفسي سوءاً أنه ظل يستبد ببارادته ويسقط على أعصابه حتى انتهت الحرب وانتهى مؤتمر السلم وانتهى مؤتمر القاهرة الذي عقده ولستون تشرشل ، ولعب لورنس دوره البارز في الترشيف في هذا كله ، لم تظل ذلك الجهد الكبير الذي بذله في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) . وعندما فرغ من الكتاب كانت سيرته على إرادته قد بلغت نهايتها فالتزم من بعده وترعت أصماق نفسه وبلغ حافة الجنون . وهنا لم يجد لورنس سبيلاً للتشاه من أدوائه إلا بتركه للتأصّب والمسؤوليات والانضمام إلى قوة الطيران جندياً عادياً مقهوراً يؤدي مساً يؤمر به من عمل . ولم يكن ذلك كافياً فانتعش شاباً من لفسار الناس يدمي جون بروس بأن يجده بين الغيتة والغيتة على قهره الصباري بالسياط حتى ينز الدم من جلده . وهكذا أخذت جراح النفس لتتشم رويداً رويداً وأخذ لورنس يسترد عافية أعصابه مع مرور الأصوام . وعلى وجه قول بروس نفسه « لقد ساعدته على استعادة سلامة عقله وهضميته واحترامه لذاته » .

من هنا يرى المؤلفان أن تسفيع لورنس في سبيل بلاده كانت است اعلم بكثير مما كان مرموفاً منه قبل اليوم ، وأنه تعلم ما تعلم من الذي كان يفعله نفسه في يؤدي واجبه لوفته كاملاً غير متوصف . وأخيراً لا شك أن المؤلفين اعتدوا على وثائق عديدة لم تنشر قبل اليوم ، وهذه الوثائق تليق الصواء ساطعة على جوانب تتعلق بالفضيلة الشخصية وخطايا السياسة التي عولجت لفساها العرب من خلالها . لهذا كله لا بد أن يجد المهتمون بلورنس كشخصية مشهورة وكذلك المهتمون بالتاريخ العربي الحديث - لا بد أن يجد هؤلاء وهؤلاء في الكتاب مادة جديدة ومثيرة : سواء وافقوا المؤلفين على استنتاجاتهم أم لم يوافقوا .

عمان - الأردن سليمان موسى

خطباء صنعوا التاريخ

تأليف النور أحمد - ٢٢٤ صفحة - نشر مكتبة الانجلو - المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة

أود أن أبدأ الحديث عن هذا الكتاب بالقرعة التي أوردتها المؤلف وهو يورخ لحيات مصطفى كامل ، إذ يقول : « مهما حاولنا أن ننقل لفساريه تلك من حياة مصطفى كامل الخطابية فلن نستطيع أن ننقل لفساريه تلك الحسوة الزاخرة التي كانت تليث منها وهو يلقها إمام جهنموره ، ولسوف نظل مجرد كلمات جامدة على الورق بعد أن لفسدت تلك التبرات الرنانة التي كانت تهر ، والفتحات الحلوة التي كانت تفسح ، والفتحات التي كانت تشع نارا ونورا ، وبعد أن سلف حجاب الزمن بيتنا وبين الخبيب ومنصته ، والتزيم وحماسته ، ولم ينس لنا إلا

التصور تراهي من خلال سطورها ألياف لظاهر عظمة الخطيب « .
 هذه الفترة تقع في يدنا مفتاحا للجولة التي نريدها في النص
 هذا الكتاب ، فالترجمة لحياة الخطيب بالذات تختلف عن الترجمة
 لشخصيات الأخرى ، لأن الترجمة لحياة الخطيب تقلد نمط
 الشخص ، شخصية الخطيب تعتمد أول ما تعتمد على الصوت ،
 والحركة ، والكتابة ، والإشارة ، وبالإسراع والتحمل ، والجر ،
 والهمس ، التي تشكل في النهاية - إلى جانب النص الخطيب - عملة
 افتاح الجاهل ، والتأثير فيها ، واستمالتها إلى رايه ، أو انفعالها
 بموافقه ، واستجابتها في النهاية لما يليق بها .
 وهذه عناصر لا يمكن أن يصورها المترجم لحياة الخطيب مهما
 أوتي من قوة التعبير ورقة التصوير ، لأن أصوات الخطباء كعصا
 الأصابع لا يمكن أن تتكرر .

ومعما أورد المترجم من النصوص الخطابية ، ومعما حاول أن يبرز
 فيها ما أوتي الخطيب من بلاغة العبارة ، وانتقاء الأساليب ، واختيار
 الكلم ، فإن التصور يبقى مجرد نصوص أدبية ، قد تكون - بمقد
 تجريدها من شخصية الخطيب - نصوصا من الدرجة الثانية أو
 الثالثة ، على أكثر من ذلك ، لأنها فقدت أهم مقومات الخطبة ، وهي
 الصوت والكتابة وكل عناصر التشابه .

وقد يكون هذا هو الذي جعل المؤلف يضيف شيئا إلى عنوان الكتاب
 غير ترجمة حياة هؤلاء الخطباء ، وهو صناعة التاريخ ، فلم يقتصر على
 الترجمة لهؤلاء الخطباء كمجرد خطباء ، ولكنه أتى على اكتشافه عنده
 المشاركة في صناعة التاريخ ولو من خلال مواهبهم كخطباء ، فوضع في
 يد الكثيرين منهم صولجان الحكم ليستطيعوا أن يغيروا مسار الأمم ،
 ويشكلوا الأحداث الكبرى في عصرهم ، ولهذا اختار شخصياته من بين
 الخطباء الذين كان لهم دور بارز في السياسة أو في الحرب .

والقاري يعض من مجرد استمراري الشخصيات التي اختارها
 المؤلف بمدى الإزاح والتقدير الذي أحاط به المؤلف شخصياته .
 ولقد جرى المؤلف في عرض شخصياته على الطريقة التقليدية في
 الترجمة ، فهو يتحدث من الشئبة الأولى للشخصية ، لسم البنية
 الاجتماعية والسياسية والعائلية التي أثبت الشخصية ، ثم يتحدث
 من المؤثرات الأدبية والفنية ، ثم البنية التي سمعها الخطيب لنفسه ،
 ثم العوامل التي دفعت إلى قرار السياسة أو الحرب وكيف كانت قوة
 الإرادة ، والأسرار على النتائج من بين العوامل التي أبرزت هؤلاء أو
 اخترهم من القاع إلى القمة .

ولقد استبان ذلك من تاريخ حياة ديموستين ، والحجاج ،
 ومبرابو ، ولكن الذي للاحظه أنهم أخذوا الخطابية وسيلة للدخول من
 أبواب التاريخ ، ليصحبوا زعماء وحكاما أو رجال دولة .

والمؤلف حين يقول في هذا الكتاب ليس ترجمة لحياة
 هؤلاء الخطباء يعطى نفسه من الإجابة عن سؤالين : لماذا اختار خطيبا
 بالذات ؟ ثم لماذا أورد من وقائع حياة الخطيب هذه الأحداث دون
 غيرها ، لكن هذا لا يدع الكتاب دون منهج .

إن المؤلف يذكركنا بأن من فنون القول كان في يوم ما ، وحتى
 الجليل السابق أبرز هذه الفنون ، وهو في الخطابية ، قبل أن تنتشر
 وسائل الإعلام السمعية والبصرية ، يوم أن كان أبرز ما يرشح المرشد
 للزعامة أن يكون خطيبا بارزا في مجال السياسة ، أو محابيا موهوبا في
 مجال الفنون .

وأود أن أذكر هنا أن المؤلف الأستاذ أنور أحمد بليّة صالحة من
 هؤلاء الخطباء الشباب ، يمتلك الصوت الفني المتنوع ، وبطك سلاسة
 العبارة وقوتها ، وبمطك القدرة الفائقة على الإقناع ، مما رشحه لكبار
 المتناصب ، ورشحه أيضا ليمثل دور الزعيم مصطفى كامل في الفيلم
 الذي خرج باسمه منذ سنوات .

والكتاب الذي نعرضه اليوم مائة طيبة يستضيف المؤلف عليها
 أسفاده الإزاح غير حدود التاريخ ، يجمع بينهم أصحاب المؤلف
 وحفاظوه بهم كخطباء أولا ، وكرجال دولة ثانيا .

والمؤلف يعرض لشخصياته عرضا ذكيا ، حين يضع بعده على نفس
 كل شخصية ، ويرزق دقات مكوناتها .

ففي حديثه من ديوبستين يبين بوضوح كيف استطاع أن يتطلب
 على عبوة الخلقية من ضعف الصوت ، وضم النمس ، ولغة اللسان
 وإرتباك الإشارات ، ذلك أنه أراد أن يكون خطيبا ، لصنع من ديوبستين
 الصبي ديوبستين العظيم بقوة الإرادة ، وبالصبر ، وبالتورس .

وعندما يتحدث من الآلام على أبرز العوامل التي نجحت له ، من
 الجراءة والصراحة والوضوح ، وحضور اليدبة ، والتفقه في الدين ، من
 والنسب العائلي الصريح ، مما جعل منه خطيبا عظيما ، ولكن كمل
 هذا كان محصوبا عليه ، فجل من سياسيا أحاطت به كسل النوان
 القليل وعدم الاستمرار ، وعلى العكس من ذلك كان زيان بن أبيه ،
 والحجاج بن يوسف اللذان كان سيهما أسبق من لسانهما .

وحديثه من عبد الله بن الزبير لم يلمتنا بأنه أكثر من محارب
 ياتس أحداً به أعداء شرسون ، وكانت أمه أسماء في جوارحه معه خطيب
 منه وهو يستحق لوما متنازلين ويحرضهم على الحرب .

وبعض المؤلف في عرض شخصياته كبرابو ، خطيب الثورة
 الفرنسية المعتدل الذي حمى الثورة في بداية عهدهما من التهور ،
 ووليم بت الكبير الذي قضى دوة برلمانية كاملة لم ينطق بكلمة
 واحدة حتى حلت عظمة لسانه فتدفق كالسيل للمدعم ،
 حتى أصبح خطيب البرلمان الأول ، وخرج بانتقرا من ذلة العزيمة إلى
 عزة الانتصار ، ووليم بت الصغير الذي انتقل من منبر الخطابة إلى
 رئاسة الوزارة قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، دون
 استناد إلى حزب أو فئة معينة ، وذلك في إنجلترا بلد التقليد .

ومن الخطباء العرب العاصرين عبد الله التميم الذي خرج
 كالفرار من بين الاحتكاكات الشعبية ليكون خطيب الثورة العربية ،
 ثم يجيء مصطفى كامل في الآونة الحاسمة التي كانت تتطلب صوته ،
 وتطلب جرأه وشجاعته ، ومعارسته للضلال من أجل الوطن في كل
 ميادين النضال ، مما أجبر المستعمر على أن يغير أساليبه ، لقد كان
 شعار مصطفى كامل أن يوفق في مصر الهزلة مصر الفتاة ، ولقد صنع
 ذلك ، حتى لم يجيء عام ١٩١٩ حتى كان الشعب المناضل قد أفرز
 أسلحته للنضال الفكري والسياسي ، فكان وجود جمال الدين الأفغاني ،
 والتفاهة بالشيخ محمد عبده قد أنجب خطيبا ثائرا وفاديا جديدا هو
 سعد زغلول الذي ركب موجة الثورة الهائلة ، التي هبت في مصر ،
 ولم لهذا إلا بعد أن هزت قواعد الاستعمار .

ويورد المؤلف ليد من الخطباء الذين ساهم خطباء الحروب
 أمثال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، والقديس برنيسار ،
 ومونجوري ، ووستون تشرشل ، وأدولف هتلر ، ثم يقتسم المؤلف
 كتابه بالحدثين من نابليون بونابارته خطيبا من خطباء الحروب .

والكتاب في النهاية يترك بابا جديدا في التراجم خلعت المكتبة
 العربية أو كانت تلو ، فإن تراجم الخطباء في رفوف المكتبة العربية
 قل أن يغرد له مؤلف بذاته .

والكتاب يمتاز بتلون شخصياته بالوان ممتعة تحب القاري إلى
 هذه الشخصيات ، وتنتقل إليه بلسانهم ومشاعرهم ونفسه في إطار
 طموحهم ، وتثير فيه عواطف الحب أو الاشفاق أو النور من تحركاتهم
 إلى مسرح الأحداث في زمنهم ، كما تنقل إلى القاري هذه الإزمنة
 والاحتكاكة بطريقة سلسة بارعة .

رضوان إبراهيم

القاهرة